روايات مصرية للجيب

51

فانتازيا

د. أحمد خالد توفيق

فلْننقذ الدُّوتْشى



مقـدمـة

(عبير عبد الرحمن) شخصية عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمال أوالقوة أوالبراعة أوالذكاء .. لكن لا بد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها .. ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر .. ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك .. ومن البدهى أن (عبير) صارت تنتمى لـ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) ..

إن (عبير) كريمة النفس ؛ لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا معها .. سوف نعبر معها

عالم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يومًا ما .. سوف تقابل ـ ونحن معها ـ العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) .. سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخن غليونه الذى أصابه بالسرطان .. سوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تخدعها الساحرة الشريرة كى تلتهم التفاحة ، أو تهدد المقصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور (بيب) .. ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذى يرشدها فى أنحاء (فانتازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حان موعد قصة أخرى ..

« إن الفاشية لا تؤمن باحتمال دوام السلام ولا بجدواه ..
فقط الحروب هى التى تستثير طاقات الإنسان كلها ، وتضع
طابع النبل على أولئك الذين يجدون الشجاعة لمواجهتها . »

بنيتو موسولينى

1 ـ نازية وملوخية وطماطم ..

جهاز رشيق أنيق هو ..

عندما تنظر له فى غرفتها تجد تناقضًا هائلاً بينه وبين تلك الغرفة الحقيرة ، كأنه فراشة تحلق فوق كوم قمامة . دعك من اختلافه التام عن الجهاز القديم الذى كان يشبه عش الدجاج ، وتوشك أن تحسبه يعمل بالكيروسين ..

طبعًا حرصت أن تخفيه عن العيون ، لأن أخاها سيجده سهل الحمل مريحًا .. ولسوف يأخذه عاجلاً أم آجلاً ليلعب به مع رفاقه فى المقهى ، خاصة تلك الألعاب التى تروق له . أية لعبة فيها قطع رءوس ودماء تسيل ودهم المارة بالسيارات .

لم تكن علاقتها بأخيها حسنة قط فى أى وقت من الأوقات ، وبرغم أن أمها ظلت تؤكد لها أن الأخ أهم شىء فى العالم :

ـ « عندما تتعثرين وتؤلمك قدمك ما هو أول ما تقولين ؟.. تقولين (أخ !) ... تنادين أخاك قبل أى شخص فى العالم ! »

بدا هذا المنطق سخيفًا لـ (عبير) .. من المؤكد أن كل من يخاف يقول (يا ماما) أو (يا أمه) ، أما هى فلم تقل (أخ) لدى أى ألم فى حياتها ، وإنما كانت تقول (أى !) .. وماذا عن الأجانب الذين يقولون (أوه !) و (أوتش !) ؟.. هل هؤلاء جميعًا يمقتون أخوتهم ؟

كلام أمها هذا نموذج من الكلام البراق لفظيًا ، لكن لا معنى له ولا يصمد أمام المنطق ..

فى الحقيقة كانت هناك عدة أسئلة فى ذهنها عن السبب الذى جعل (شريف) يختصها بهذه الهدية . أسئلة عن طلاقه وعن الأسباب المحتملة لذلك ..

لقد صار (شريف) صاحب سوابق بالمعنى الحرفى للكلمة .. باللغة الأمنية هو (مسجل خطر) ، خاصة عندما يطلق زوجته الثالثة .. بسهولة وبساطة يفعل هذه الأشياء ، ومن الصعب أن تفترض زوجته سيئة فى كل مرة .. يجب أن يكون العيب فيه .. وهذا يعكس عدم نضج نفسى غريب .. إنه طفل غير قادر على أن يعطى قدر ما يأخذ .. أو هو طفل يسأم اللعبة فيرميها .. أو هو طفل يجد الفراش ضيقًا عندما يرغمونه على أن ينام جوار أخيه .. المهم أنه غير طبيعى ولربما كان الحل الأصوب له ألا يتزوج أبدًا ..

أسئلة كهذه كانت تزور عقلها على استحياء فتتخلص منها بسرعة .. كلام فرويد عن ميكانيزمات الدفاع لم يفارق ذهنها ، وهى تعرف كيف تتخلص من أشياء كهذه . التساؤلات قد تعنى أنها ضعيفة واهية ، أوأنها ما زالت بحاجة له .. التساؤلات قد تعنى انه يمثل لها ما هو أكثر من فانتازيا .. التساؤلات قد تعنى أنها بلا كرامة ..

أمها عرفت الخبر .. كان هذا خطأ فادحًا ..

قالت لها أمها وهى تقتطف أوراق الملوخية وتضعها فى مصفاة :

ـ « أنت الوحيدة التى أنجبت منه .. هذه نقطة مهمة .. »

قالت (عبير) فى صبر :

ـ « ومن قال إنه لم ينجب من زوجته الثالثة

ـ « لم يكن هناك وقت لذلك .. ولو حدث لقال لك .. »

فكرت (عبير) حينًا ثم قالت :

ـ « إلامَ تلمحين ؟ »

ـ « إلى العودة له طبعًا .. الرجال أطفال كبار لا يعرفون مصلحتهم ، وعلى المرأة أن تحدد لهم ما يحبون عمله .. »

ـ « أى أن على أن أجعله يعرف أنه يريد استعادتى .. »

ـ « تلك هى الفتاة البارعة .. »

ثم نهضت لتغسل الملوخية فى حوض المطبخ ، وجلبت باقى الاستعدادات البالغة التعقيد .. الطبلية ، والمخرطة والجريدة ، والسكين .. الأم المصرية القديمة الباسلة الموشكة على الانقراض ، تبدو وهى تخرط الملوخية كأنها ملكة تعتلى عرشها ..

لكن (عبير) لم تكن على استعداد لسماع شىء من هذا .. ميكانيزمات الدفاع تعمل بشكل ممتاز ، وهكذا هى لا تسمع أى حرف أو لا تبالى به ..

فى الصالة كان جهاز التلفزيون مفتوحًا .. جهاز تلفزيون صغير من عصر (الأكرة) والأزرار لكنه ملون على كل حال . وقد كان بيتها يستعمل الوصلة كأى بيت آخر ، حيث صارت الفضائيات هى القاعدة . كان هناك فيلم على إحدى القنوات يظهر مجموعة من الضباط النازيين المتخشبين تلمع عيونهم بالتوحش والتفوق الآرى ، بينما يظهر الأمريكان مجموعة من الشباب المرحين قليلى النظام مفرطين فى استعمال الشتائم لكنهم ظرفاء (جدعان) وقلوبهم من ذهب .. تذكرت (عبير) عبارة سمعتها من قبل ... هى أن الشرير فى أى فيلم أمريكى يكون أجنبيًا أو يتكلم بلكنة بريطانية منمقة واضحة الحروف والمخارج . طبعًا وجدوا فى الأعوام الأخيرة نوعًا جديدًا من الأشرار هم العرب الذين يقولون Allah طيلة الوقت قبل أن يفجروا أنفسهم .

جلست تراقب الشاشة بعض الوقت ، وتذكرت أكوام ما قرأته من قبل عن الحرب العالمية الثانية .. الحرب التى كتب تاريخها الحلفاء ، فماذا لو كتب تاريخها رجال المحور ؟.. هل كانت الحقائق ستختلف كثيرًا ؟.. وإلى أى حد ؟

اليهود بذلوا كل مرتخص وغال للتحالف مع هتلر ، لكنهم فشلوا فى استمالته وعندما بدأ فى النكاية بهم أطلقوا كل حكايات أفران الغاز والمعتقلات وصاروا يدمرون كل من يحاول الكلام بحياد عن النازية .. من يجرؤ اليوم على ذكر هذه الحقيقة ؟.. مستحيل ..

بالتأكيد لم يكن هتلر منقذًا للبشرية ، لكن الحلفاء لم يكونوا كذلك أيضًا ..

على الشاشة واصل الأمريكان الجدعان أولاد البلد تحطيم النازيين المعقدين نفسيًا ، هنا نادتها أمها كى تبتاع بعض الطماطم من (أم وائل) على الناصية .. تحب أن تضع ثمرتى طماطم مع الحساء أثناء غليانه ليعطى الملوخية مذاقًا أفضل . لم تكن عبير تحب الأكل كثيرًا ، لهذا كانت تندهش من كل هذا الجهد الذى يبذله الناس من أجل متعة لا تدوم سوى خمس دقائق . إن مشاهدة الفيلم أفضل بكثير ، لكن أمها لن تتركها .

ـ « ولا تنسى الخبز .. اشترى بجنيهين ..!.. »

هكذا أغلقت (عبير) الجهاز وأخذت كيس نقودها ودست قدميها فى الصندل وخرجت إلى الحارة .

كانت (أم وائل) جالسة عند قمة الحارة حيث تلتقى بالشارع ، وهى تتشاجر بصوتها المبحوح الخشن مع (أم عاطف) . طبعًا هذا صراع على أماكن النفوذ كما تفعل أفراس النهر . كل واحدة تعتقد أن الأخرى تنافسها على أفضل مكان يهبط فيه الرزق .. سوف تنزل كرة الرزق من السماء فعلى حجر من تنزل ؟..

راحت (أم وائل) تطلق السباب وهى تزن الطماطم لعبير ، ثم وجهت مدفع سبابها إلى السيارة الواقفة بقربها ، تلك التى تحجب عنها كرات الرزق . هؤلاء الذين بلا شغلة ولا مشغلة ولا يفعلون سوى وقف حالنا .. غريب أن تقف سيارة فى هذا الشارع الضيق دعك من أنها باهظة الثمن بالتأكيد .. لم تكن تعرف موديلات السيارات .. عندها أن السيارات حمراء وبيضاء ورمادية وفضية .. هذه هى الموديلات التى تعرفها ..

رفعت (عبير) عينيها بحذر فوجدت أن الجالس خلف زجاج السيارة هو (شريف) !

* * *

عندما عادت إلى الدار وضعت ما ابتاعته فى المطبخ ثم هرعت إلى حجرتها ..

سألتها الأم :

ـ « إلى أين ؟.. ألن تتناولى الغداء ؟ »

قالت (عبير) وهى تغلق باب الغرفة :

ـ « فيما بعد .. لست جائعة .. هناك صداع عظيم يوشك على تفجير رأسى .. »

ـ « ربما كان الـ ... »

لكنها كانت قد أغلقت الباب ..

فتحت جهاز الكمبيوتر ، ومن الكيس البلاستيكى أخرجت الأقطاب وجلست أمام الجهاز ..

كانت بحاجة إلى فرار سريع .. فرار إلى عالم ليس فيه (شريف) و(أم وائل) و(أم عاطف) وملوخية وكل هذه المنغصات ..

فى فانتازيا تصير الأمور منطقية ويغدو لكل شىء معنى ، وتصير هى سيدة نفسها ..

لكن إلى أين هذه المرة ؟؟؟؟ .

2ـ فلننقذ الدوتشى ..

ـ « فلننقذ الدوتشى .. »

قالها الجنرال (كورت شتودنت)، ثم نظر لها بعينيه الرماديتين اللتين تشعر بأنهما لا تريان .

لم تقل شيئًا ، وظلت واقفة بتلك الطريقة العسكرية الصارمة المتخشبة ، فعاد يقول :

ـ « لن أعطى تفاصيل أكثر ، لكن طائرة استطلاع من سلاح الطيران قد حلقت فوق الجزيرة والتقطت عدة صور .. الطريف هو أنها التقطت صورة الدوتشى ذاته فى الشرفة .. »

ثم مد يده وتناول سيجارًا غليظًا من درج المكتب واشعله ، وقال وهو يطلق سحابة كثيفة :

ـ « لا أخفى عليك أن الفوهرر شخصيًا مهتم بالأمر .. »

* * *

وتعود (عبير) بذاكرتها إلى قطار فانتازيا المضحك وهو يتأرجح بها بين معالم أكبر وأغرب مدينة ملاهٍ أو **theme park** فى التاريخ .. فانتازيا .. لا شك أن من صنعوا (ديزنى لاند)

كانوا سيرتجفون ويتضاءلون لو رأوا ضخامة هذه المدينة وامتدادها عبر كل العوالم وكل العصور . المشكلة الوحيدة هى أنها مدينة ملاهٍ مخصصة لزائر واحد هو (عبير) .. هنا لن يكون اصطحاب الأطفال مشكلة ؛ لأنه لا يوجد أحد على الإطلاق ولا يوجد زبون آخر سواها .

قالت همسًا :

ـ « هذه ثروة .. »

التفت المرشد وقد سمعها تهمس وقال :

ـ « ماذا تقولين ؟ »

ـ « هذه المدينة تشكل ثروة .. فقط لو استطاع شريف الأحمق أن يتيحها للجميع .. »

قال المرشد :

ـ « سوف تحاربها القوانين فى كل البلاد وسوف يُحرق من يمتلكها .. نحن نتحدث هنا عن نوع من المخدرات ، وقابلية الإدمان واضحة تمامًا .. لو صارت فانتازيا متاحة للجميع ، فلن يعمل أى إنسان على وجه الأرض .. سوف يجلس الجميع أمام الشاشات وعلى رءوسهم تلك الأقطاب .. الحلم أقوى وأجمل من الواقع دائمًا ، ويطرده كما تطرد العملة المزيفة العملة الصحيحة ..

كانت هناك فى أوائل القرن العشرين لعبة عبقرية اسمها (التيكن) ، وقد نجحت إلى حد أن الموظفين لم يكونوا يرجعون إلى بيوتهم بل كانوا يمضون الليل يلعبونها تحت أعمدة الإنارة ، وكانت القطارات تتصادم لأن المحولجية كانوا منهمكين فى تلك اللعبة .. »

- « لكن لفانتازيا دورًا تثقيفيًا لا شك فيه .. »

- « هناك من سوف يستعملها فى أغراض مشينة لو اتيحت له .. لقد علمتنا التجارب أن الإنسان قادر على إفساد أية متعة بريئة .. »

ثم أشار إلى رأسها وقال :

- « الخلاصة أن هذه اللعبة لا تناسب سواك ، ومن الخير ألا تناسب سواك .. »

كان القطار الآن يخوض مستنقعات كثيفة تذكرها بمنطقة السدود فى رحلتها النيلية السابقة ، لكنها فوجئت بكائن عملاق غريب يرفع رأسه من الماء ويحاول اقتناص القطار ..

نظرت للمرشد فى حيرة فراجع الدليل الصغير فى يده وقال :

- « كوكب المستنقعات .. لابد أن هذا جزء من رواية خيال علمى ما .. »

ثم دوت صيحة طرزان الشهيرة وهو يثب فوق القطار ثم يثب من جديد إلى أعلى شجرة .. قالت فى ضيق ما معناه : .. « انت لسه عايش ؟ » .. عندما تستنفد مغامرة تبدو لها سخيفة جدًا كأنها فيلم رأته مائة مرة من قبل .. منذ أيام قابلت طالبين من مدرسة ثانوية يتناقشان بشأن (الفولتامتر العيارى) فشعرت بالغثيان . أما زال هناك من يتكلم عن الفولتامتر العيارى حتى اليوم ؟

فجأة راحت الأرض تهتز ..

كانت هناك مدرعات عتيقة الطراز نوعًا تزحف فى الأفق وهى لا تكف عن إطلاق المدافع .. لحسن الحظ ليس فى اتجاه القطار ، لكنها ترى الانفجارات من بعيد والقطار يهتز بفعل تفريغ الهواء . هذه حرب لكنها ليست حربًا حديثة .. غالبًا هى الحرب العالمية الثانية ..

قال المرشد وهو يراجع الدليل :

- « دبابات البانزر .. نحن فى قطاع (ألعاب تاريخية) .. بالتحديد فى عالم الحرب العالمية الثانية .. هل تفضلينها أم تفضلين الحرب العالمية الأولى ؟ »

قالت فى ملل :

ـ « كل ما أعرفه عن الأولى هو الخنادق والأطراف المبتورة والموت بالغازات السامة والتيفوس ، والجنود البروسيون الذين يثبتون رمحًا فى قمة الخوذة .. »

ـ « معك حق .. هذا يلخص كل شىء .. لكنك قلت الصورة الذهنية ولم تتكلمى عن الحرب ذاتها .. ما علينا .. يبدو أنك تفضلين الحرب العالمية الثانية .. سوف نقترب أكثر لنرى المشهد .. »

ثم هتف وهو يشير إلى المدينة :

ـ « داس إست برلين ! »

* * *

المشهد كان مهيبًا بحق ..

هناك ميدان واسع وعلى الجانبين يصطف آلاف من الناس .. سجاد أحمر يمتد إلى ما لا نهاية . موكب من الجنود يلبسون الخوذات البروسية على صهوات الخيول المطهمة .

هناك فى وسط الميدان درجات تقود إلى منصة عالية يرفرف فوقها العلم النازى مع علم آخر لم تعرفه . العلم النازى رمز استعمارى قوى يصعب أن تراه من دون أن تستحضر آلاف الصور . هناك نار مشتعلة كأنه احتفال أوليمبى .

هناك صفوف من الأطفال الذين يلبسون الأبيض ويحملون صور الفوهرر .. أناشيد ترتفع إلى عنان السماء ، بينما هناك مواكب من العسكريين ذوى القمصان السود ، يرفعون أيديهم بتحية النازى .

هناك كذلك صفوف من الجنود الألمان بخوذاتهم غريبة الشكل يمشون بخطوة الإوزة الشهيرة . وهى طريقة المشى التى يرتفع فيها الفخذ إلى زاوية قائمة تمامًا والساق على امتداده .

(خطوة الوزة .. خطوة فيها عزة) .. هكذا كانت تغنى الطوابير الألمانية فى واحدة من فوازير (فطوطة) التى كتبها الشاعر الراحل (عبد السلام أمين) .. تذكرتها (عبير) على الفور ..

الأمطار تنهمر ، لكنها برغم هذا تشعل نار النفوس ولا تطفئها ..

هذا جو من التعصب والحماسة ملتهب .. هذا جو قادر على أن يحرك الجماهير لتعمل أى شىء .

و(عبير) وسط هذا الزحام تشعر بأنها ريشة ضائعة ، لكنها تدرك على الفور أنها تقف وسط مجموعة مماثلة لها من الفتيات الشقراوات يلبسن ثيابًا شبه عسكرية ..

إذن هى جزء من هذه الآلة العملاقة المجنونة ..

وتنظر لملامح الفتيات فتراهن شقراوات ، ماسخات ، عديمات اللون والرائحة والطعم .. عضليات جدًا .. إنهن نماذج آرية من تلك التى تروق لهتلر وقد تم انتقاؤهن بعناية ...

عندما يتصاعد غناء الجماهير تشعر بأن الأرض ذاتها ترتج من تحتك ..

داس إست برلين .. إنه 23 سبتمبر عام 1938 ...

داس إست برلين .. واليوم يوم خاص ..

داس إست برلين .. وكل أعضاء الحزب النازى فى الشوارع اليوم ..

داس إست برلين .. الحرب لم تبدأ بعد ، لكن العالم كله قلق من ألمانيا ..

إنها تنوى شيئًا .. الجميع يعرف أنها تنوى شيئًا ما ..

والحقيقة أن خيوط هذا الـ (شىء ما) كانت تُنسج فى هذا اليوم بالذات .. ...

* * *

أخيرًا تفتش كثيرًا حتى تقع عيناها عليه ..

إنه يقف هناك فى وضع متخشب رافعًا يده بالطريقة النازية إياها محييًا الجماهير ..

يلبس قميصًا بنيًا وسروالاً اسود وهو لباس النازية المعروف ..

إنه أدولف هتلر ..

لقد قابلته من قبل .. بالأحرى كانت حبيبته ، وشهدت معه سقوط الرايخ . فى تلك الفترة كان أقرب إلى حطام بشرى وكان يجر نفسه بصعوبة وعسر وكان شاحبًا ، لكنها الآن تراه فى خير حال .. متألقًا لامعًا يشع بالكاريزما والثقة ... بل بدا لها كذلك بعيدًا جدًا .. أقرب إلى رمز .. من الصعب فى هذه الظروف أن تتصور أنها كانت معه لحظة بلحظة فى ذلك المخبأ تحت الأرض ..

النازيون فى ذروة قوتهم قبل بدء الحرب ..

ثم تصل إلى الميدان سيارة سوداء ضخمة فاخرة .. عتيقة جدًا لكنها أحدث وأفخم شىء فى عام 1938 طبعًا .. حول السيارة دراجات بخارية يركبها عسكريون ألمان يبدون كالسياط الحادة ..

تفتح السيارة وينزل منها من يفتح الباب ، ويتصاعد الهتاف من الحناجر أكثر فأكثر ..

ترى ذلك الرجل الذى ينزل من السيارة وقد فرد صدره للأمام وطوح ذقنه إلى أعلى، حتى بدا منظره كوميديًا أقرب إلى الديك الرومى المنتفخ ..

ثياب عسكرية أنيقة جدًا وأكثر من وشاح ونياشين وعلى رأسه طاقية غريبة تذكرها بما كان جدها يضعه على رأسه طلبًا للدفء ..

إنها تعرفه .. إنه رمز بصرى قوى جدًا مثله مثل غاندى وشابلن وهتلر وأينشتاين .. هذا هو موسولينى Mussolini .. الدكتاتور الإيطالى الشهير .. الدوتشى Duce .. أى القائد كما يسميه الإيطاليون ..

الحرس يؤدون التحية العسكرية وهو يرد عليها وهو ينظر تجاه هتلر الواقف فى المنصة، بدوره يأتى بحركة عجيبة متخشبة .. يثنى كف يده ويثنى الكوع ثم يوجه الكف للسماء كأنه يرفع ثقلاً.

ابتسمت فى سرها؛ لأنها لم تتمالك أن تقارن بين هذه الحركات وألعاب الأولاد .. لا شك فى أن هناك جزءًا من الصبيانية فى نفوس هؤلاء الطغاة يجعلهم مولعين بالثياب العسكرية الأنيقة والاستعراضات والدبابات .. إلخ .. بالضبط كما يحب كل طفل أن يلبس كضابط حيث يتاح له حمل المسدس ..!

ما لم تعرفه (عبير) هو أن موسولينى اشترط قبل الزيارة ألا يرغم على ارتداء البذلة .. الحقيقة أن هذا كان حكيمًا لأن أية صورة له بالبذلة تظهره مهرجًا .. معظم صور موسولينى المحترمة تظهره بالثياب العسكرية أو عارى الصدر على صهوة حصان ..

اليوم يوم خاص فعلاً .. ..

إنه يوم لقاء الدكتاتورين (هتلر) و(موسولينى) فى شهر سبتمبر عام 1938 من أجل الاتفاق على التحالف وتوحيد قواهما ضد العالم ..

هتلر يحتقر أوروبا كلها، لكنه ما زال يؤمن بالإيطاليين باعتبار جينات الإمبراطورية الرومانية ما زالت موجودة فيهم ..

كان هذا هو لقاؤها الأول مع الدوتشى ...

* * *

3- فلنترك الدوتشى !

اسمها (هانا) .. (هانا شتورمجر) ..

فتاة ألمانية من آلاف الفتيات اللاتى يعشن فى ألمانيا النازية ، وكما يحرص الإعلام على إظهارهن مليئات بالصحة والعافية رياضيات حسنات التغذية ، وبالطبع شديدات الإيمان بالفوهرر .. كم من صورة رأيتها أنت لفتاة من هذا الطراز تمسك فى يدها اليسرى بمقود دراجتها وتمسك فى يدها اليمنى بتفاحة حمراء ...

كانت (عبير) تعرف أن الفوهرر فى النهاية مجرد رسام مخبول أراد أن يلون الكرة الأرضية بلون الدم . كانت تعرف هذا جيدًا وقد كان لها الحظ أن رأته رأى العين ، لكنها اعترفت لنفسها بأن جنون الجماهير طوفان يجرف .. فجأة تكتشف أنه لا رأى لك سوى رأى الناس .. تتخلى عن كل قناعاتك القديمة عندما ترى جارك متحمسًا وصديقك متحمسًا وأباك متحمسًا ..

هناك حمى اصابت الجميع اسمها (الفوهرر) وهذه الحمى معدية ، ولسوف تصيبك مهما قاومت ..

هذا غريب ..

إنها تعلق صورة الفوهرر ، وتتحمس له مع الجموع ، وهى مشتركة فى أكثر من تنظيم للشباب النازى . وقد كرمت أكثر من

مرة ، وأرسلت إلى إيطاليا للمشاركة فى بعض المهرجانات الرياضية ، لهذا هى تعرف بعض الإيطالية .

كان أبوها عضوًا فى الحزب ، وهو بقال مسن يبدو اقرب إلى الموت ، لكنها اليوم تراه يعلق شارة النازية على ذراعه ولا يكف عن الكلام عن الفوهرر ، أما أمها فلا تكف عن إنشاد (ألمانيا فوق الجميع) . لها اخ شاب وسيم يتغيب عن البيت كثيرًا جدًا لأنه يقوم مع رفاقه بتشكيل ميليشيات تهاجم بيوت من لم يعرف عنهم الولاء للحزب ..

حتى حبيبها الذى يقابلها فى الشارع ولا يكف عن ملاحقتها .. هذا الفتى يلبس القميص البنى الغامق والسروال الأسود ويضع (كاسكيتا) وشعار الحزب على ذراعه ..

الحقيقة أن رواية 1984 لجورج أورويل ليست خيالاً كلها .. لقد حدثت فعلاً على هذا الكوكب ..

الفتى العاشق يدعى (مولر) .. وهو نموذج للشاب الهتلرى بعينيه الزرقاوين الخاليتين من الحياة ، وشعره الأشقر ، ورضاه التام عن الوضع الحالى للبلاد .. لقد حل كل مشاكل الكون ووصل إلى الصواب ..

قال لها :

- « سوف نتزوج بعد انتهاء الحرب .. »

قالت فى شىء من سخرية :

ـ « هل تعتقد أن هذه الحرب يمكن أن تنتهى ؟.. نحن نتحدث عن احتلال العالم .. »

ـ « عندما تسقط أوروبا سوف تقبل الولايات المتحدة أن تتبعنا .. سوف نصبر خمس سنوات بعدها نصير نحن السادة .. »

عادت إلى البيت حيث كانت الأسرة جالسة إلى مائدة العشاء ..

فى هذه الجلسة يطيب لهم أن يذكر كل منهم ما قدمه اليوم من أجل الرايخ . تبرعت بجزء من دخلى .. ألقيت محاضرة تثقيفية على مجموعة من الصبية .. قذفت يهوديًا بحجر .. أبلغت عن جارنا الذى لا يحضر اجتماعات الحزب ... إلخ ..

المهم أن يترافق كل يوم مع إنجاز جديد ..

قال لها أبوها :

ـ « هناك ضابطان من الصاعقة جاءا للسؤال عنك ! »

عندما تنشأ فى هذا الزمن وتكون لك علاقة بالنازية ، فإن أمعاءك تتعلم أن تتقلص ، وقلبك يتعلم كيف يتوقف للحظة ، وريقك يتعلم كيف يجف ، عندما يذكر اسم (قوات الصاعقة) .. SS(*) ..

(*) اختصار لكلمة Schutzstaffel ومعناها (تشكيل الدفاع) .

إنهم أشد النازيين تعصبًا وقسوة وغرورًا .. تعرفهم من قاماتهم الرياضية الفارعة ووجوههم الصخرية وعلامة الصاعقة المرسومة على ياقات السترات .. تم اختيارهم من طبقات أرستقراطية تمثل ذروة الحلم الآرى .. إنهم (الوحوش الشقر الرائعون) الذين حلم بهم (نيتشه Nietzsche) فيلسوف النازية . هم يتبعون (هملر) المخيف ، ومعنى وجودهم أن هناك من يشك فى نازيتها . يعنى أن عين البوليس الصارمة مصوبة عليها تدرس سكناتها ..

لكن الأب يقول فى فخر وهو يضع فى طبقه قطعة هائلة من السجق :

ـ « لقد سألوا عنك كثيرًا ويقولون إن إخلاصك للفوهرر فوق الشبهات ، لذا يريدون أن تنضمى لسلاح خاص .. لم يذكروا أية تفاصيل .. فقط قالوا : إن عليك أن تتوجهى إلى مقر الجشتابو غدًا .. »

ابتلعت ريقها .. لولا أنه قال إنهم معجبون بها لكتبت وصيتها ..

ـ « قوات خاصة ؟.. أنا ؟ »

هنا تذكرت (عبير) المعلومات التى تعرفها عن نفسها لكنها لا تعرف قيمتها .. إنها رشيقة جدًا .. بارعة فى كل الألعاب الرياضية تقريبًا .. تحصل على الكأس فى أية بطولة تدخلها .. دعك من أنها نازية متعصبة ..

هذه الصفات قد أدارت رءوس هـؤلاء القـوم .. لكـن مـاذا يريدون بالضبط ؟

ـ « هذا ما ستعرفينه غدًا .. »

ـ « وأنت لن تأتى معى ؟ »

ـ « لن يسمح لى بدخول مقر الجشتابو .. هذا مكان لا يدخلـه إلا المحظوظون جدًا أو تعساء الحظ جدًا ! »

ـ « وفى الحالين لا أحد يخرج ! »

ضحكت الأم وقالت فى خفة :

ـ « يقول إنهم معجبون بك ! »

ـ « ومعنى هذا ؟ »

ـ « معناه أنك على الأرجح ستخرجين ! »

* * *

كانت الأم مخطئة كالعادة ، وستعرف السبب حالاً ..

لقد اتجهت (عبير) إلى ذلك المركز واجفة القلب . كان عليهـا أن تمر بالعلم النازى الرهيب عدة مرات .. كـان عليهـا أن تمـر بكل هؤلاء الحراس المتشككين المتخشبين ، وأن تقف فى النهاية

أمـام مكتب الجنرال (فون) ... لا تعرف مـاذا !! وهـو يمسـك بكأس صـغيرة مـن الويسكى ويرمقهـا فى اهتمـام . مكتب عتيـق لكنـه فاخر ، وخلفه صورة عملاقة لهتلر تحتهـا صورتـان أصغر لهملر وجورنج .

جندى المراسلة يقف متخشبًا خلف الجنرال وقد بدت عليه معالم الخطورة ، برغم أن كل دوره هو أن يملأ الكأس للجنرال كلما فرغت .

قال لها الجنرال :

ـ « فرويلاين (شتورمجر) .. »

ثم راح يقلب أوراق ملف عملاق أمامه .. كـأنه قـال ما يكفى .. يبدو أن هؤلاء القوم درسوا كل شىء عنها ، ولعل الملف يحـوى صور أول عملية خلع أسنان مرت بها ..

ـ « أنت عضو نشط فى تنظيمات الشباب .. مخلصة للفوهرر .. رياضية .. جميلة .. »

كل الكلام كان صحيحًا ما عدا آخر جزء ، لأن (عبير) لم تستطع قط أن ترى جمالاً فى صورتها الماسخة الخالية من الحياة .. بالنسبة للنازيين هى رائعة برغم أنها لا تساوى بصلة فى مصر .

قال الجنرال كأنه يحلم :

ـ « ما أفكر فيه هو نوع خاص من التدريب .. تدريب على العمليات الخاصة .. إن النازيين عامة لا يؤمنون بقدرة المرأة على القتال ، لكنى أحاول أن أزحزح هذه العقيدة وأن أبرهن أن الفتاة النازية مثل الرجل فى صلابته وربما هى أصلب .. »

هذا جميل فعلاً ، لكن ماذا تريد بالضبط ؟

قال الجنرال كأنه يسمع أفكارها :

ـ « لن تعودى إلى الدار فورًا .. سوف يتم نقلك إلى رقعة سرية فى (الرور) حيث تخضعين لتدريب عال فى الالتحام والقتال والهبوط بالمظلات .. لن تكونى وحدك بل ستكون مجموعة أخرى من فتيات الرايخ الآريات .. سيكون هذا الفيلق سلاحنا السرى الذى لا يعرف أحد أنه موجود ..... »

قالت محتجة :

ـ « لا أحد يعرف فعلاً وهذه هى المشكلة .. عندنا فى البيت سوف .....»

قال فى حزم :

ـ « أنت الآن لم تعودى ملك أسرتك بل أنت ملك الرايخ .. هذا استدعاء للحرب وليس عرضًا تقبلينه أو ترفضينه .. لا مجال

للمناقشة هنا ، وأهلك سوف يتم إخطارهم فى الوقت المناسب ، ولسوف يكونون فخورين بابنتهم ! »

هكذا وجدت (عبير) نفسها مجندة فى فرقة خاصة من النساء تعمل لحساب الرايخ ..

لم يخب ظنها أن من يدخل مقر (الجشتابو) لا يخرج .. ربما يخرج لكن إلى منطقة نائية يُعدم فيها أو يتم تدريبه على القتال ..

فرقة نسائية مقاتلة ؟؟؟

لا تعرف كيف ؟ ، ولا تعتقد أنها سمعت بشىء كهذا ، لكنها قدرت أن هذه طريقة فانتازيا لدمجها فى الأحداث .. لا يضم تاريخ الحرب العالمية الثانية أى خبر عن نساء مقاتلات ، وإنما دور النساء هو الصراخ أوان يكن جاسوسات فاتنات .. أو ـ على أقل تقدير ـ هن خائنات يتعاملن مع النازى ويُعدمن بعد الحرب بعد جز شعور رءوسهن طبعًا ..

معنى أن تكون هناك فرقة نسائية هو أن فانتازيا تبحث لها عن عمل ما ..

هكذا انطلقت عربات جيش مغطاة جيدًا فى ظلام الليل نحو (الرور) ، وهى المنطقة التى تضم مصانع الصلب الخاصة بالنازى ، وهناك قضت أسوأ أيام حياتها فى حياة عسكرية قاسية جدًا ...

الكثير من التثقيف .. قراءة كتاب (كفاحى) ألف مرة ... الطوابير والزحف والوثب فوق النيران .. إطلاق النار .. وضع الألغام .. القفز من الطائرات .. التدريب يتم على يد ضباط محترفين من الصاعقة .

الحقيقة أن تلك الأيام مرت بسرعة فى فانتازيا طبعًا ، لكنها برغم هذا كانت شديدة القسوة .. وجدت (عبير) أن جسدها صار عضليًا مشدودًا أقرب إلى جسد رجل قوى . وخطر لها أنها لو عادت لعالم الواقع بهذا الجسد لانتصرت فى أية مشاجرة فى أى مكان ..

الطعام قليل ومحسوب بعناية بحيث يقدم أعلى قدر من البروتين والسعرات مع أقل قدر من التضحيات الصحية . النوم شحيح .. الفتيات الأخريات مزعجات كالكابوس ثرثارات كالببغاوات .. كانت (عبير) تمقت أى معسكر أو مكان يرغمها على الحياة والنوم مع فتيات ، خاصة عندما يزول سحر الافتعال وترى المرأة على حقيقتها منكوشة الشعر ، تفوح منها رائحة النوم والعرق والأقدام التى ظلت فى حذاء عسكرى ست عشرة ساعة . كل هؤلاء الفتيات سوف يضعن المكياج ويمشطن شعورهن ويخلبن لب الفتيان بمجرد عودتهن إلى العالم الخارجى ، لكنهن هنا لا يرين ضرورة لغسل الوجه ذاته ، وتذكرت ما تسمعه عن معسكرات الرجال حيث ينتهزون فرصة غياب الأنثى حتى لا يضطروا إلى حلق

ذقونهم أو تمشيط شعورهم أوالاستحمام . يبدوانه لابد من وجود جنس آخر كى يرغمنا على النظافة !

هكذا مر شهران من هذا الجحيم ...

قالت لها صديقتها (أولجا) وهى تتثاءب كفرس النهر :

ـ « هل تعتقدين أنهم سيكونون بحاجة لنا ؟.. اشعر أننا مجرد ديكور يقنعون به أنفسهم لا أكثر .. »

قالت (عبير) :

ـ « أنا ايضًا أعتقد ذلك .. لا مجال للنساء فى هذه الحرب .. »

وكانت تتابع الأخبار ، وتعرف أن العالم اشتعل نارًا .. (هتلر) قد دخل إلى تشيكوسلوفاكيا وتحالف مع ستالين ضد بولندا ..

هذه هى الأعوام التى كانت فيها قوة الحلفاء تتآكل .. وبدا للجميع أن المانيا تصعد بلا توقف ..

وفى هذه الأعوام بالذات كان هناك وحش يزأر فى إيطاليا .. وحش أصلع الرأس ضخم الجثة اسمه (بنيتو موسولينى) ..

* * *

4ـ فلنوقف الدوتشى !

لم تتصور (عبير) قط أنه سوف يتم ربط حياتها بحياة ذلك العملاق الأصلع ..

بعد أعوام طوال من العمل الصحفى والتنظيمات السرية والعمل كشيوعى تارة ومعاد للشيوعية تارة ، كان موسولينى الشاب الإيطالى المشاغب الطموح قد وصل إلى أن يصير رئيس وزراء إيطاليا ..

قبل هذا كان قد أسس الحزب الفاشى عام 1921م .. الفاشية Fascismo هى دكتاتورية تعلى مصلحة الدولة على المصلحة الفردية ، وتضع كل هذا تحت سيطرة زعيم أو دكتاتور ..

كان صعود موسولينى صاروخيًا ، وتدريجيًا تمكن من إقصاء كل الوزراء من غير ذوى الميول الفاشية .. فى الواقع كان تأثيره مغناطيسيًا على الجماهير بطريقته العنيفة المقتحمة ، وخاصة أنه ذكّر الإيطاليين بأمجاد الإمبراطورية الرومانية ..

كان يقف كعادته وقد طوح ذقنه للأمام وفرد صدره .. غالبًا كان يفضل أن يخاطب الجماهير فى الريف بالذات عارى الصدر ليوحى بالقوة البدنية ..

وفى كل مكان تضج الحناجر بهتاف لا معنى له :

ـ إيا إيا إيا .. الالالا .. !

وهو هتاف عجيب ابتكره شاعر الفاشية (دانونزيو) ، وكان له تأثير السحر فى تنويم الجماهير وإشعارها بأنها فى الطريق إلى هدف موحد عظيم ..

كان يدعو إلى الخشونة والتخلى عن الطريقة المهذبة فى الكلام . الحقيقة أن الطب وجد تفسيرًا لغرابة أطوار أكثر من دكتاتور فى إصابته بزهرى الجهاز العصبى Neurosyphilis ولم يكن موسولينى استثناء . لقد سرح من الجيش لهذا السبب .. هكذا نرى أن تاريخ العالم وتاريخ إيطاليا كان يمكن أن يتغير بحقنة من البنسلين !.. بالمثل وجد الطب تفسيرًا لغرابة أطوار حكام روما القديمة فى تسممهم بالرصاص الذى كانوا يشربون ويأكلون فى أوعية مصنوعة منه ..

سوف تجد فى تاريخ صعود كل ديكتاتور مرحلة أولى من الإصلاح الاقتصادى .. تنتعش البلاد ويشعر المواطن بالأمن . لقد تسلم (هتلر) ألمانيا عندما كان راتب الموظف لا يقدر على شراء أربع حبات من البطاطس ، فجعلها خلال سنوات قوة صناعية وحربية واقتصادية مخيفة . نفس السيناريو تكرر مع موسولينى .

هناك تفاصيل كثيرة جداً لكن هذه الأشياء تضايق القارئ غالبًا ، وتضايق (عبير) ، لذا سوف نثب فوق البدايات .. ما يعنينا هنا والآن أن موسوليني صار دكتاتور إيطاليا القوى .. فى الواقع لم يعد لملك إيطاليا (فكتور عمانويل) الثالث أى نفوذ من أى نوع ..

لن أتحدث عما فعله فى ليبيا (قصة رمى جراتسياني للأسرى الليبيين من الطائرات حقيقية وتمت بتعليمات واضحة من موسوليني) والسبب أنه كان يحلم بأن يصير البحر المتوسط بحيرة إيطالية (بحرنا Nostrum) .. لن أتحدث عن ضرب المدنيين بتعليمات واضحة منه بغاز الخردل فى أثيوبيا ، وقصف معسكرات الصليب الأحمر التى كشفت للعالم عن استعماله هذا الغاز .. وفى العام 1938م تحالف الشيطانان .. هتلر وموسوليني .. تحالفا على أن يحاربا العالم معًا ..

وفى ميدان (متفيلد) الألمانى انقطع التيار الكهربى فلم يعد مكبر الصوت يعمل ، من ثم صاح موسوليني فى جماهير ألمانيا بأعلى صوته :

ـ « عندما تتخذ الفاشية صديقًا فهى تمضى معه حتى النهاية !!.. »

بالفعل قلد موسوليني النازيين فى كل شىء حتى مشية الإوزة ، وهى مشية عذبت الجنود كثيرًا .. يصر موسوليني على أن هذه المشية رومانية فى الأصل ويطلق عليها اسم passo romano .. أى : المشية الرومانية ..إنها صعبة جدًا ، وقد حاول الملك (عمانويل) أن يمشيها فكان منظره مضحكًا وكاد يصاب بتمزق عضلى ، من ثم قال موسوليني :

ـ « ما ذنب المشية إذا كان هذا الرجل قزمًا قميئًا لا يستطيع ركوب الحصان من دون سلم ؟ »

والطريف أنه هو نفسه جرب هذه المشية ووجدها صعبة جدًا .. والأطرف أن التحية النازية التى أدخلها هتلر كانت رومانية فى الأصل !.. كان الدكتاتوران يتبادلان الأسرار الصبيانية الإمبراطورية إياها .. لن أتحدث عن هذا أيضًا ..

فى 10 يونيو عام 1940م أعلن موسوليني أن إيطاليا تدخل الحرب مع قوات المحور. فى الحقيقة كان بهذا يوقع قرار إعدامه بعد خمس سنوات ، وقرار احتلال الحلفاء لبلاده بعد ثلاث سنوات ..

منذ البداية أثبت الإيطاليون أنهم اختلفوا كثيرًا جدًا عن اجدادهم .. الإيطاليون الذين كانوا يستعرضون عضلاتهم الحربية وتقدمهم مع الليبيين ، حاولوا احتلال فرنسا فى مغامرة مثيرة للشفقة كلفتهم 4000 جندى مقابل 200 جندى فرنسى !.. هذا نموذج صارخ على (أسد على وفى الحروب نعامة) ..

كانت هزائمهم مستمرة وانتصاراتهم محدودة جدًا ، لكن (هتلر) كان يعتقد أن موسولينى يختلف عن شعبه .. من المرات القليلة التى شوهد فيها (هتلر) يبتسم أو تغرورق عيناه تأثرًا لتلك اللحظات التى يلقى فيها (موسولينى) ، وقد رآه الكل يبكى وهو يودعه بعد زيارة قام بها إلى إيطاليا .. عندها همس موسولينى :

ـ « لن تستطيع قوة فى العالم التفرقة بيننا ! »

يبدو أن هذا حب حقيقى رومانسى ، كانت نتيجته أن الاثنين نالا المصير ذاته ..

وكانت أقسى لحظات (موسولينى) عندما واجه المشاكل فى اليونان واضطر إلى طلب مساعدة (هتلر) .. فى كل مرة كان الجيش الألمانى يظهر لينهى المشكلة فى دقائق ، مظهرًا كفاءة وسرعة ـ وقسوة ـ غير عادية ، مما جعل (موسولينى) ينبهر بهؤلاء القوم جدًا .. وقد قال عن ألمانيا :

ـ « هذه اعظم أمة فى التاريخ ، وهى تسموفى طريقها إلى المجد والعظمة .. »

وفى أروقة الحكومة الإيطالية وفى القصر الملكى تكررت القصة التى تتكرر مع كل ديكتاتور منذ عهد (يوليوس قيصر) ، وتكررت مع (هتلر) فيما بعد ...

رجال السياسة يتهامسون :

ـ « هذا المخبول سوف يدمر البلاد تدميرًا .. »

ـ « لابد من وقفه عند حده .. »

ـ « الملك يترك له الحبل على الغارب .. »

ـ « الملك لا يطيق (هتلر) ، و(موسولينى) مُصِرّ على أن يقحمه فى كل شىء ويتبعه حيثما ذهب .. »

ـ « إنه قد قتل الكثير من خصومه .. هناك أدلة قوية على تورطه فى هذا .. »

ـ « لابد من وقف (موسولينى) .. »

وعلى الطريقة الرومانية كان أحد المتآمرين ضده قريبًا له .. زوج ابنته بالذات .. (تشيانو) .. Ciano .. لكنى لن أتحدث عن هذا كى لا اضايق القارئ ..

* * *

فى هذا الوقت أنهت (عبير) تدريبها فى (الرور) ...

لم يكن هناك حفل تخرج ولا احتفالات .. فقط وقفوا طابورًا فى الشمس لمدة ثلاث ساعات ثم جاءت سيارة (جيب) حربية ، يجلس فيها الجنرال (فون لا أعرف ماذا) وقد وقف خلفه ياوره حاملاً المظلة ليحميه من الشمس ، وفى يد الجنرال قفاز جلدى انتزعه عن يده اليمنى ليتاح له شرب الويسكى ..

عندما رأى المجندات الواقفات فى الشمس بدا عليه الرضا ، وترجل من السيارة ليتلقى التحية ..

مشدودات كالأوتار المعدة للانطلاق ، كلهن نشاط وحماس وتعصب .. مستعدات للقتل فى أية لحظة . فى الواقع لم تعد لهن علاقة قوية بالأنوثة .. هن مجموعة من رجال الصاعقة المزودين بكروموسومى XX .. لا أكثر ..

قال لهن وهو يستعرض الصف المكون من عشرين فتاة :

ـ « أنا راض عن أدائكن .. سوف تعدن إلى دياركن وتنتظرن لحظة الاستدعاء .. لا نعرف متى ولا كيف .. لا نعرف هل هى آتية فعلاً أم لا .. فقط نحن نعرف ان لدينا سلاحًا سريًا مهمًا .. »

انفجرت إحدى الفتيات تتكلم بفيض (نازى) من الحماس :

ـ « نحن نرغب فى أن نقاتل الآن من اجل الفوهرر ! »

قال الجنرال فى تؤدة ورضا :

ـ « اللحظة آتية عندما نحددها نحن .. »

ونظر إلى (عبير) نظرة طويلة فاحصة .. قدرت فى سرها أن معنى هذه النظرة هو أن احتمال أن تكون فى تلك المهمة 99٪ ..

وفى تؤدة عاد الجنرال إلى السيارة وأصدر الأمر إلى سائقه ، فانطلقت السيارة مبتعدة ...

وفى المساء تحرك رتل من السيارات المغطاة عائدًا إلى الديار ..

لقد عادت إلى البيت أخيرًا ..

تنزل من سيارة الأجرة لتدق باب بيتها .. ينفتح الباب .. هذه أمها تحتضنها وتلثمها باكية ..

يخرج أخوها ليعانقها ..

ـ « لقد افتقدناك كثيرًا يا (هانا) .. »

ـ « ولكن اين أبى ؟ »

الدموع تغرق وجهها ووجه أخيها ووجه أمها .. ثم يقتادانها إلى الداخل ..

تبحث الأم عن عشاء .. ما زالت هناك بعض المكرونة والصلصة من عشائهما، وهى تضع هذا مع قطعة خبز .. تبحث عن السجق وتقطع منه شريحة كبيرة تضعها لـ (عبير) ..

(عبير) تأكل والغريب انها تعودت الأكل كالثيران وبطريقة ذكرية جدًا .. طريقة أكل الجنود المتعبين الجياع، لا طريقة أكل البنات طالبات المدارس .. تستعمل السكين كثيرًا جدًا وتغرسها فى أى شىء على المنضدة لتلتقطه ببراعة ..

تقول الأم :

- « يا لشهيتك !.. أنت صرت قوية وجافة كالمعدن الأصيل .. »

تسألها (عبير) بفم ملىء بالمكرونة :

- « نعم . لكن أين أبى ؟ »

هذه المرة أدركت أن هناك كارثة ما .. إن الدوران حول الموضوع يتخذ شكل إصرار غريب، وهذا يعنى أن الأخبار سيئة جدًا على الأرجح ..

قال أخوها ضاحكًا ضحكة عصبية :

- « بعد يومين جاءنا ضابطان من الـ SS وقالا إنك ستتغيبين طويلاً ... قالا إنك ستكونين مفخرة للرايخ .. هذا كل شىء، لكنهما أمرانا ألا نسألك بتاتًا عما رأيت وعرفت .. »

- « هذا جميل ... لكن أين أبى ؟ »

فى النهاية جلست الأم على مقعد فى الجهة الأخرى من المنضدة وغطت وجهها .. قالت من بين دموعها :

- « هو .. هوفى الجشتابو ! »

نظرت عبير إلى صورة هتلر المعلقة جوار الموقد نظرة ذات معنى، وقالت :

- « لماذا ؟ »

قال الأخ فى كياسة :

- « كل شىء على ما يرام .. سوف يعود سالمًا .. أنت تعرفين أن أباك من أخلص أعضاء الحزب وأنشطهم .. الكل يعرف هذا .. »

- « هذا يشرح لك سر دهشتى لكنه لا يفسر شيئًا لى .. »

- « لقد .. لقد كان عصبيًا بصدد غيابك غير المبرر، وتكلم كثيرًا جدًا مع الضابطين .. ربما فقد أعصابه وقال كلمة حادة هنا أو هناك .. »

هتفت (عبير) والمكرونة تتطاير من فمها :

- « هذا منطقى .. لا تطالب أبًا بأن تختفى ابنته يومين ثم شهرين، وبرغم هذا يكون هادئًا مهذبًا .. »

- « على المرء أن يكون هادئًا مهذبًا مع ضباط الصاعقة .. على كل حال سوف يعود أبى حتمًا .. »

قالت فى عصبية :

- « لن يعود ..!.. »

كم من مرة رأت ذلك الرجل المشنوق على عمود نور ، وقد علقوا على صدره لافتة تقول : .. « أنا خائن ..لقد خذلت الفوهرر وشعبى .. » .. هذا منظر يراه الأطفال وهم ذاهبون للمدرسة كثيرًا ، والخيانة المقصودة قد تكون عدم حضور اجتماعات الحزب أو عدم إظهار الحماسة للحرب ..

لن يعود ..

هى تعرف هذا جيدًا ..

والغريب أنها لا تستطيع أن تغضب فعلاً أو تنقلب على الحزب .. لقد قاموا ببرمجتها جيدًا فى ذلك المعسكر ، ولم تعد تعرف ما تعتقده حقًا ..

هكذا غرست الشوكة فى مزيد من المكرونة وجلست وقالت :

- « سوف يعود ! »

5- فلنفهم الدوتشى !

كانت الدكتاتورية فى إيطاليا تفرض وجهها الكئيب ..

ها ذى سبعة عشر عامًا ، مرت على تولى الحزب الفاشى ، وقد صار طبيعيًا جدًا أن يُدرس للأطفال فى المدارس كتاب يقول بالحرف :

- « إن الطفل الذى يتساءل عن السبب يشبه حربة مصنوعة من الحليب .. لقد علمنا الدوتشى أن نطيع ؛ لأن الطاعة واجب علينا .. »

تذكر أن (موسولينى) نفسه لم يكن أكثر الأطفال تهذيبًا وطاعة ، وقد منع من حضور الصلاة فى الكنيسة طفلاً ؛ لأنه كان يقذف المصلين بالحجارة ..

إن الحرب تسير مع إيطاليا بشكل غاية فى السوء .. إيطاليا بلد عاشق للمرح والحياة ، ولم يعد صاحب مزاج حربى كما كان أيام الرومان .. كأن الرومان استنفدوا كل روح البطولة العسكرية لدى هذا الشعب ، فلم يبق لديه منها إلا ما يستعمله مع الليبيين والأحباش والألبان ..

دعك من أن السلاح كان شحيحًا .. تصور أنهم اقترضوا بعض السيارات من الشرطة لاستخدامها فى العروض العسكرية . لا توجد حاملات طائرات أو سلاح جوى يعتد به . وضع عجيب جدًا لطرف يرغب فى أن يحتل العالم ..

(موسولينى) لم يكن أعمى تمامًا عن هذا كله ، وقد كانت حالته النفسية غاية فى السوء تتأرجح بين الحماس المجنون واليأس التام .. بين التبعية العمياء لألمانيا وبين الذعر مما ينقاد له ..

فى هذا الوقت قال أحد وزرائه همسًا :

ـ « إن الزهرى قد أتلف عقل الدوتشى .. يجب عليه أن يبحث عن علاج بأسرع طريقة .. »

كلما هُزم الإيطاليون راح (موسولينى) يلوم :

ـ « هذا الشعب الناعم الذى لا يصلح لشىء !.. أنا أفتقر إلى الخامة لأشكلها بيدى جنودًا كما كان (مايكل انجلو) يصنع تماثيله .. »

وكذلك :

ـ « الفن !!.. مشكلة الشعب الإيطالى هى الانغماس فى الفنون فلم يعد قادرًا على القتال ! »

وتمنى لو يبيع كل تحف إيطاليا ليمول بها آلة الحرب .

المشكلة هى أن (هتلر) كان يحقق الانتصارات فى كل مكان وأى وقت ..

يعانى (موسولينى) الأمرين فى اليونان فيغزوها (هتلر) .. يتمرد ضباط يوغوسلافيون ويستولون على الحكم واضعين (موسولينى) فى مأزق ، هنا يقول (هتلر) :

ـ « لابد من سحق يوغوسلافيا بلا رحمة .. »

ويرغم الإيطاليين على أن يعملوا تحت إمرة قواده ، وخلال عشرة أيام تكون القوات الألمانية قد غزت يوغوسلافيا وحققت نصرًا ساحقًا ..

عندما أعلن (هتلر) أنه يعتبر نفسه فى حالة حرب مع (روسيا) أصيب (موسولينى) بالذعر ، لكنه اصر على أن يرسل مائتى ألف جندى إيطالى ليشاركوا فى الحرب هناك ..

برغم هذا يمكننا أن نفهم تلك النقطة النفسية ..

النازيون لا يهزمون .. النازيون ينتصرون دومًا .. إنهم شياطين ..

يمكننا إذن فهم العاطفة المعقدة التى شعر بها (موسولينى) تجاه حلفائه .. مزيج من الغيرة والحسد والإعجاب .. مع غل شديد نحو الإيطاليين الذين لا يكفون عن خذلانه ..

سمع ان الألمان يلاقون مقاومة عنيفة فى روسيا فقال لخلصائه :

- « آمل أن يفقد النازيون الكثير من ريشهم فى هذه الحرب !!.. »

ونحن نعرف أن أمنيته تحققت حرفيًا .. لقد خسر النازيون ريشهم كله ، ولكنه لم ير هذه النهاية على كل حال ..

* * *

ينزل (موسولينى) من السيارة مع (أدولف هتلر) ليتفقد القوات الإيطالية التى تحارب فى الجبهة الشرقية ضد (ستالين) المفترس ..

كان رأسه يوشك على الانفجار ؛ لأن (هتلر) لم يكف عن الكلام لحظة .. هذا رجل قادر على الكلام ساعتين بلا توقف فى كل شىء حتى الفنون والمسرح والدين والفلسفة ... اعتاد (موسولينى) أن يتكلم هو وأن يصمت الناس ، لكنه مع (هتلر) يصغى ويصغى ويصغى فحسب ..

هذه فرقة (تورين) الإيطالية .. تمنى (موسولينى) أن يجد الجنود شُعثًا غبرًا غارقين بالدماء وقد بدت عليهم معالم نبل الحرب ومعاناتها ، لكنه اغتاظ عندما وجد الأوغاد متأنقين لامعين حليقى الوجوه عطرى الرائحة ..

لابد أنه قال لنفسه :

- « هذه ملامح عشاق .. ملامح مطربين يفتنون المراهقات ، ولا يمكن أن تكون ملامح جنود .. »

ثم يستعرض الرجلان الجنود الألمان ، فيغتم موسولينى أكثر ..

وجوه خشنة مليئة بالرجولة والكبرياء .. جروح فى كل مكان .. ذقون نامية .. ثياب مغبرة .. هذه وجوه جنود فعلاً ..

يبدو أن (هتلر) لاحظ هذا ، وبدا فى مسلكه بعض الإهمال تجاه (موسولينى) ..

اتجه الفوهرر إلى جنوده ووقف معهم يمازحهم ويكلمهم بالألمانية التى لا يفهمها الدوتشى . لابد أنها نكات سخيفة لكنهم يضحكون مجاملة .. تصور نكات (هتلر) وكيف تكون !

ووجد (موسولينى) نفسه يقف مهملاً جوار الجنرال العجوز (فون رونشتات) .. وتمنى لو كان (هتلر) اصطحبه معه ليقدمه للجنود ..

لكنه يملك شيئًا لا يقدر عليه (هتلر) ..

عندما اتجه الفوهرر مع ضيفه إلى طائرته الخاصة ، اتجه موسولينى إلى الطيار وطلب منه أن يقود الطائرة بنفسه !

أصيب (هتلر) بالذعر ، لكن (موسولينى) أخبره أنه يقود الطائرات منذ زمن وأن عليه الا يخشى شيئًا ..

نظر هتلر إلى مرافقيه آملاً أن يجد أحدهم مخرجًا ، لكنهم ظلوا صامتين ..

هكذا ركب الطائرة كأنه ذاهب إلى الإعدام ، بينما جلس (موسولينى) فى مقعد الطيار ، وبدأ الانطلاق مع كثير من الغرور والاستعراضية .. لابد أن هذه كانت أقسى لحظات فى حياة هتلر ، لكنه أدرك على الفور أن (موسولينى) يجيد قيادة الطائرات فعلاً ، والمنظر على كل حال لابد أن يذكرك بمشهد عادل إمام الكفيف وهو يقود الطائرة بينما المدرب يلطم خديه فى المقعد الخلفى ..

هذه قصص يصعب أن نصدقها ، وتدل على مدى طفولية أولئك الطغاة ، وكم أنهم يغارون ويحقدون كالأطفال .. (تامر) يستعرض براعته فى قيادة الدراجات ، لأنه مغتاظ من إجادة (شادى) لكرة القدم ..

على كل لم يطل انتظاره كثيرًا وراحت أنباء سيئة تأتى من الشرق عن خسائر الجيش الألمانى ..

لم تكن علاقته مع النازيين صافية كلها ، فهو كان يمقتهم نوعًا لخلوهم من الشفقة .. كان يسمع عن فظائعهم فيقشعر بدنه برغم أنه ارتكب عددًا لا بأس به من الفظائع ، لكن أفعالهم ظلت فوق مستوى تصوره ..

كذلك لم يحب تعاليهم ومعاملتهم القاسية لجنوده الإيطاليين حيثما حارب الفريقان معًا .. كان الألمان يستأثرون بالسيارات ويتركون الإيطاليين يمشون .. لم يحب (جورنج) وزير حربية هتلر بطباعه الغريبة وشذوذه والمساحيق التى يلطخ بها وجهه ، وطلاء الشفاه الذى يدهن به شفتيه ، والأسد الصغير الذى يحمله كأنه قط ولا ينفك عن الوثب على حجر (موسولينى) كلما جلس ..

فى ذات مرة التقط رجال مخابراته مكالمة بين ضابطين ألمانيين سمع فيها التالى :

1 ـ الإيطاليون شعب رقيع من أكلة المكرونة .

2 ـ الدوتشى مجنون .

3 ـ هو ضعيف جدًا تجاه اليهود .. هو يحب أن يتظاهر بمعاداة السامية لكنه لا يمارسها فعلاً .

4 ـ يجب ان يفكر الفوهرر فى غزوايطاليا فيما بعد .

كانت طريقته فى الاحتجاج هى أن يجرى مكالمة مع أحد أصدقائه يشكو فيها الألمان ، وكان مطمئنًا إلى أن النازيين يمارسون هوايتهم فى تسجيل مكالماته .. هكذا يصل كل ما يضايقه إلى (هتلر) سريعًا ..

هكذا هزل جسده وخبا بريق عينيه ، وأصابته قرحة فى الاثنى عشر جعلته يتلوى ألمًا ، وأوصاه طبيبه بألا يأكل أى شىء تقريبًا .. من ثم أصيب بالضعف وفقر دم حاد ..

كانت المؤامرات تتزايد ضده ، وتهامس الجميع أن الوقت قد حان كى يتخلى عن كل سلطاته للملك وأن يتولى الكونت (جراندى) منصب رئيس الوزراء ..

وفى جلسة شهيرة جدًا للمجلس الأعلى للحكومة تم التصويت على حجب الثقة به ..

وجاء اليوم الخامس والعشرون من يوليو عام 1943م ..

* * *

كان يوم أحد ..

وبناء على استدعاء من الملك اتجه موسولينى بسيارته إلى قصر (سافوى) ..

مثلما حدث ليوليوس قيصر منذ مئات الأعوام ، نصحته زوجته راشيل ألا يذهب .. هذه مؤامرة .. لكنه لم ير على نفسه خطرًا أكبر من التجريد من سلطاته ..

تمشى السيارة داخل ساحات القصر ..

هو ذا الملك (فكتور عمانويل) يقف بثيابه الرسمية والسيف معلق إلى خصره ، وهو ينزل الدرج ليستقبل ضيفه الأصلع الذى لم يعد ضخم الجثة ..

يخرج موسولينى ويترك سائقه وحده ..

السائق يشعر بالحر القائظ .. يجفف عرقه .. الذباب .. كل هذا الذباب .. التعاسة كلمة تتلخص فى ذباب مبلل بالعرق .

هنا جاءه ضابط يعرفه من الشرطة ، وانحنى جوار نافذة السيارة ليقول له بطريقة عرضية خفيفة :

ـ « هناك مكالمة هاتفية لك يا (بوراتو) .. تعال معى إلى القصر .. »

وداخل القصر لاحظ السائق أن عدد رجال الشرطة أكثر من اللازم .. هناك حركة مريبة بالداخل ... ثمة شىء يتم تدبيره لكن ما هو ؟

* * *

6ـ فلنسجن الدوتشى !

هذه المرة لم يكن الملك ودودًا ولا غاضبًا ..

كان يتكلم بلا مبالاة وثبات .. كل قرار يتخذه مجلس الدولة لابد من تنفيذه حرفيًا .. 19 صوتًا يطالب بوقفك .. لا يجب أن تكون عندك أوهام يا ألدوتشى .. معنى هذا الكلام أنك أكثر رجل يمقته الإيطاليون .. سوف يتولى المارشال بادوليورئاسة الوزراء بدلاً منك ، اما أنت فلا تخش على سلامتك شيئًا ؛ لأننى أضمنها ..

ظل الدوتشى صامتا وهو شاحب الوجه يتحسس قرحته ، ثم قال :

ـ « أفهم من هذا أن جلالتك تطلب منى أن أقدم استقالتى .. »

ـ « نعم .. »

ـ « إذن أنا أقدمها لجلالتك .. »

ـ « وأنا أقبلها .. »

هكذا نهض موسولينى ومشى مع الملك إلى الخارج وصافحه ، وبدأ الرجلان حديثًا وديًا عن الطقس ..

من الغريب أن كلاً منهما وصف الآخر فيما بعد بأنه كان شاحبًا ضئيلاً كأنه انكمش ..

هنا لاحظ موسولينى أن سيارته غير واقفة فى مكانها .. تقدم منه نقيب شاب أدى له التحية العسكرية فى احترام ، ثم قال :

ـ « تلقينا الأوامر بحمايتك يا الدوتشى .. »

فى غضب وضيق قال موسولينى :

ـ « لا أريد حماية .. عندى حراسى .. »

ـ « هذه هى الأوامر يا الدوتشى .. كما ان الأوامر تقضى بأن تركب سيارتنا .. »

نظر موسولينى إلى سيارة الإسعاف التى اقتربت من مكانه وفيها أربعة ضباط أشداء ينتظرون منه أن يركب معهم ، وفهم الأمر .. قال للضابط الشاب :

ـ « إذا كانت هذه أوامرك فنفذها .. »

وأنزل قبعته على عينيه وصعد إلى السيارة .. ساعده الضابط على الصعود فبدا للحظة كأنه يرغمه على ذلك .. وسرعان ما انغلقت السيارة وانطلقت نحو مصير مجهول ..

* * *

« قبل جلالة الملك استقالة الشيفالييه بنيتو موسولينى من رئاسة الحكومة واختار جلالته خلفًا له ماريشال إيطاليا الشيفالييه بتروبودوليو .. »

هكذا دوى الخبر من المذياع ..

هنا يحدث ما يحدث فى كل مرة ، ويثبت أن الجماهير لا عقل ولا إخلاص لها .. كل الذين كانوا يبكون من فرط الهيام بالفاشية أمس خرجوا للشوارع يرقصون احتفالاً بالخلاص من الدكتاتور .. لا فاشية بعد اليوم .. لا موسولينى بعد اليوم ..

كانوا أمس يعدون بأن يحاربوا حتى آخر قطرة من دمهم ، واليوم يلعنون الحرب ويرقصون ؛ لأن الصلح آت لا ريب فيه ..

صور موسولينى تمزق وتحرق وتماثيله تلقى على الأرض ..

حماس شديد لا تعرف كيف كان موجودًا تحت الرماد .. ربما تقبله باعتباره صيحة الحرية ، لكن لا تنس أن هذه الجماهير كانت أكثر حماسًا لموسولينى أمس .. لوانك شتمت موسولينى أمس لمزقوك إربًا ولو هتفت له اليوم للاقيت المصير ذاته ..

(يا له من ببغاء عقله فى أذنيه) على رأى أحمد شوقى بك ..

هاجموا مقر الجريدة الفاشية فدمروه ، وضربوا من يحملون شعار الحزب الفاشى ..

فى مكتب (مورجاجنى) عضو مجلس الشيوخ كتب الرجل :

- « لقد استقال الدوتشى وانتهت حياتى .. عاش الدوتشى ! »

كتبها ، وأطلق الرصاص على رأسه ..

برغم لا أخلاقية الانتحار فإن هذا بلا شك موقف شريف .. هذا رجل أخلص لما آمن به حتى اللحظة الأخيرة ، وهو موقف نادر وسط كل هذه الهمجية التى ملأت الشوارع ..

لكن أول بيان لبودليو قال :

- « لا جورا كونتينوا آ فيانكو ديل ألياتو جرمانيكو(*) ! »

مصيبة .. أليس كذلك ؟..

ماذا ؟.. لا تفهم معنى ما قال ؟.. مع أن الكلام يمكن استنتاجه بالفهلوة المصرية المعتادة ، مستعينًا بتشابه الكلمات مع الإنجليزية .. ذات مرة قمت بترجمة ورقة علمية كاملة بالأسبانية التى لا أعرف حرفًا منها بذات الطريقة . على كل حال معنى كلامه هو .. » سوف تستمر الحرب إلى جانب حلفائنا الألمان ! »

سبب هذا خيبة أمل لا شك فيها للجماهير فى الشوارع ..

(*) « Laguerra Continua Flanco dell`alleato germanico»

الحقيقة أنه كان مضطرًا لهذا ، فلا أحد يستطيع إنهاء الحرب فجأة .. قد يسهل أن تستدعى العفريت لكن التخلص منه عسير ويحتاج إلى الكثير من التعاويذ والأدعية ..

تم الاتصال بالمخابرات البحرية كى تعد العدة لتأمين نقل (شخصية على درجة عالية من الأهمية) إلى جزيرة اسمها (فنتوتينى) جنوب إيطاليا .

يتم الانتقال على متن سفينة حربية ، ثم يغير الإيطاليون الجزيرة لأن (فنتوتينى) عليها حامية ألمانية .. فلنذهب إلى (بونزا) إذن ..

كان (موسولينى) يشعر بخجل شديد من أن يضطر إلى النزول إلى الشط ويراه الناس فيحسبوه سجينًا وهو كذلك لهذا طلب من أميرال السفينة الحربية أن ينتظر حتى الليل كى لا يعرف أحد أن (موسولينى) هو الضيف غير العادى . لكن الأميرال قال إنه لا حيلة له فى تغيير الأوامر .

هو بيت صغير أصغر من ثلاثة طوابق ، يطل على خليج صغير .

هذا هو المكان الذى اختير للدوتشى كمزيج من السجن والمنفى .. سرير حديدى ومنضدة خشبية عتيقة وجدران متسخة ..

على الباب يقف رقيب إيطالى شاب مرتبك لا يصدق أنه يقف أمام الدوتشى .. وقف يبلل لسانه عاجزًا عن الكلام ، وإن أدى التحية الرومانية فى عصبية ، فنهض موسولينى نحوه وأمسك كتفيه وهتف :

- « تشجع !.. أنا أعرف ما تحس به ! »

لقد راق له برغم كل شىء ما فى الموقف من مسرحية قوية ، وكره أن يفوت الفرصة ..

- « لم نعرف أنك ستكون ضيفنا إلا منذ نصف ساعة يا دوتشى .. »

- « لا بأس .. لا بأس .. »

- « كنت أتمنى لقاءك فى الماضى .. كى .. كى .. »

ثم جاء الطعام تحمله زوجة أحد الجنود .. وعاء ملىء بالفاصوليا وبيضة على سبيل البروتين ، وبرغم كل شىء كان موسولينى جائعًا ففتك بالطعام فتكًا ..

لابد أنه أغمض عينيه وهو ينام على الفراش الحديدى ، ويتذكر ساخرًا أن الغد 29 يونيو هو عيد ميلاده !..

لابد أنه راح يقول لنفسه ما يشبه ما قاله الشاعر العربى فى محبسه :

- « أضاعونى وأى فتى أضاعوا .. ليوم كريهة وسداد ثغر .. »

* * *

فى الأيام التالية قضى موسولينى وقته فى القراءة والكتابة ..

قرأ كتابًا عن حياة السيد المسيح ، وقد ترك هذا الكتاب فيما بعد فوجدوا مئات التعليقات على الحواشى تثبت أنه كان متأكدًا من تطابق حياته مع حياة المسيح !! . هكذا ببساطة اعتبر أنه جاء ليخلص الإيطاليين لكن أحد أصدقائه خانه .. والمشكلة أنه كان لا يخشى الإيطاليين .. كان يخشى استسلام إيطاليا وعندها سيكون أول شروط هذا الاستسلام تسليمه إلى انجلترا !!.. ولسوف يصنع البريطانيون من جلده نعالهم ..

طعامه كان حمية ممتازة :

الإفطار : كوب لبن وبيضة ..

الغذاء : بيضة وطماطم وفاكهة ..

العشاء : كوب لبن ..

أضف لهذا هدايا مستمرة من الكابوريا يأتى بها الصيادون . هم لا يصدقون أن موسولينى ضيف على جزيرتهم ، وسلوكهم نوع من عبارة (حصلت لنا البركة) التى ترددها ربات البيوت عندنا ..

لم يكن صنبور الماء يعمل .. وقد قال للرقيب المكلف بحراسته :

- « قل لى يا رقيب .. أنا أنفقت الكثير من المال من أجل مد أنابيب الماء إلى جزيرة (بونزا) ، فلماذا لا أجد ماء فى صنبور غرفتى ؟ »

- « هناك أنابيب ، لكن لا ماء فيها .. الماء يضيع فى البحر ! »

عندها انطلق يسب ويلعن فى الموظفين والبيروقراطية ..

ثم جاءته ملابس جديدة أخيرًا ولأول مرة ..

كان هذا أسعد خبر فى حياته .. لقد أخذ الثياب كأنه كان ينتظرها ثم نزع قميصه ليمشى عارى الصدر كعادته !

بعد أسبوع أيقظوه فجرًا بسرعة ، وأخبروه أنهم سينقلونه إلى جزيرة أخرى ..

* * *

7ـ فلنبعد الدوتشى !

صارت الحياة كئيبة فعلاً فى برلين ..

أخوها لم يظهر منذ فترة طويلة ، ويقال إنه فى الجبهة الشرقية .. إذا كان هذا صحيحًا فلماذا لا يكتب لها ؟..

البريطانيون الأوغاد لا يكفون عن قصف المدينة .. صحيح أن سلاح الجو الألمانى بعافيته ، لكن الطيارين البريطانيين بارعون ، وينجحون فى اختراق كل شىء ..

هناك قيود على التموين .. على الورق .. على الإضاءة .. على كل شىء .. هذه بلاد فى حالة حرب حقيقية ، لكن (عبير) كانت تؤمن أن النصر لهم فى النهاية .. الجنس الآرى خلق ليسود .. هذه سنة الحياة ..

برغم هذا كله كانت تجد وقتًا هادئًا يسمح بأن تذهب إلى النهر مع (مولر) ..

بقميصه البنى الغامق وسرواله الأسود وشعار الحزب ، يأخذها على دراجته إلى ضفة النهر حيث يجلسان بالساعات ويقذفان ألف حجر فى النهر .. من البراعة أن تتعلم قذف الحجر بحيث يرتطم بالماء عدة مرات ويحدث دوائر كلما ارتطم .. هذا مسل ..

لم يظهر أبوها بعد .. سألته عنه .. هل تعتقد أنه مات ؟

قذف حجرًا وقال :

ـ « لا أحد يهتم بأعداء الحزب سواء عاشوا او ماتوا .. »

قالت محتجة :

ـ « أبى ليس من أعداء الحزب .. أنت تعرف أنه يؤمن بالفوهرر .. »

ـ « رجال الجشتابو رأوا أنه من أعداء الحزب .. إذن هم مصيبون .. لا أحد يعرف أفضل من الجشتابو .. »

كتمت غيظها وراحت تتأمل ساقها المطلة من تحت التنورة .. كمية عضلات جديرة بطرزان فعلاً .. إنها قد صارت كالسلاح السرى المعد للإطلاق فى أية لحظة .. كل هذا التدريب لا يجب أن يذهب هباء ..

قالت له وهى تفتح شطيرة ملفوفة بالورق وتناولها له :

ـ « أكرر .. هل تعتقد أنه مات ؟ »

هز رأسه ثم نظر لها نظرة ذات معنى .. أخيرًا قال :

ـ « أنا أرجح ذلك .. »

هبت واقفة فى جزع وسألته :

ـ « هل رأيت جثته ؟ »

ـ « بل رأيت التقارير عنه .. عمى ضابط فى الجشتابو .. »

ـ « أية تقارير ؟.. أبى لم يفعل أى شىء سوى الحماس للنازية .. »

ـ « لا يمكنك أن تعرفى أبدًا .. »

كأنه من السهل أن يجهل المرء أشياء كثيرة عن أبيه ..من السهل أن تجهل عن أبيك كل علاقاته قبل أن يتزوج .. من السهل أن تجهل قصص حبه .. اختلاسه .. تلقيه للرشوة .. من السهل أن تجهل هذا كله ، لكن من المستحيل أن تجهل آراءه السياسية .. هذا مستحيل ..

هنا اختمرت الفكرة فى ذهنها ونظرت لـ (مولر) طويلاً ..

قالت له ضاغطة على حروف كلماتها :

ـ « عمك ضابط جشتابو ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « وأنت تغذيه بالتقارير .. هه ؟.. هذا يرجح كفتك عندهم .. »

ـ « أحيانًا أفعل ذلك .. »

ـ « وبعض هذه التقارير مختلق ولا اساس له من الصحة .. ربما تضمنت هذه التقارير كلامًا عن أبى .. أليس كذلك ؟..

العبارة الحادة التى تبادلها مع ضباط الصاعقة تحولت إلى تاريخ كامل من العمل السرى ضد الحزب .. يمكننى أن أتخيل ذلك .. »

نظر لها بعينيه الميتتين الزرقاوين ، ولم يرد ..

كان هذا فى حد ذاته كافيًا ..

عندما تعمل مع الجشتابو لا يمكنك أن تأتى بأخبار صحيحة ومهمة طيلة الوقت .. هذه مشكلة عميل المباحث فى كل زمان ومكان .. يصير أشبه بالصحفى الذى لا يجد ما يكفى من أخبار ، من ثم يضطر إلى اختلاق بعضها ليكسب رزقه ولا يفقد أهميته .. هذا عدم أمانة ، لكنك عندما تتعامل مع جهاز مفترس مثل الجشتابو يتحول الأمر إلى قتل عمد ..

قالت له وهى تنظر فى عينيه :

ـ « مولر .. قل لى إننى مخطئة وغبية .. »

ـ « أنت لم تكونى غبية قط يا ملاكى .. »

لا تعرف متى وجهت تلك الضربة إلى فكه فسقط إلى الخلف ، وعلى الفور وجهت له لكمة فى صدره ثم لكمة أخرى فى فكه .. كانت قوية جدًا وكان هو ضعيفًا كفتاة صغيرة .. كان بلا حول ولا قوة فى يدها ، وجعلها هذا تشعر بنشوة حقيقية ..

طار فى الهواء ليسقط فى الماء .. طش !.. وتناثرت القطرات حتى بللت حذاءها ، وتوقف عجوز وزوجته يرقبان المشهد فى ذعر ..

صاح وهو يضرب الماء بيديه وقدميه :

ـ « أنا .. جلوب !.. أنا .. جلوب !.. أنا لا أعرف السباحة ! »

ـ « هذه فرصة طيبة للتعلم ! »

ثم ركعت على ركبتها ومدت يدها لتمسك بخصلات شعره الأشقر ، وجذبته حتى صار قرب الشاطئ ، ثم همست له وهو يجاهد من اجل الهواء :

ـ « كما ترى .. أنا قوية جدًا .. أما عن اتصالاتى داخل الحزب وعلاقاتى برجال الصاعقة فلا تصدق .. عندما أسروا أبى لم أكن بهذه القوة .. لو حاولت أن تلعب ذات اللعبة القذرة وتشى بى ، فلسوف ينقلبون عليك .. سوف يمزقونك أنت .. جرب أن تلعب بقذارة ولسوف ترى النتيجة .. فقط جرب .. »

كان معلقًا من خصلات شعره فوجهت له صفعتين بيدها اليسرى ، ثم ضربت رأسه فى ضفة النهر وإن تأكدت من انه لن يغرق .. يغرق فى المهانة نعم لكن ليس فى الماء ..

وغادرت المكان ..

هى مؤمنة بالنازية والفوهرر .. فقط عندما تظهر أخطاء تقول لنفسها : ليت الألمان كانوا على المستوى الأخلاقى الذى أراده الفوهرر لهم .. الأخطاء تأتى من البشر لا من المبدأ نفسه ..

كانت تعرف أنه سيشكو .. لكنها مستعدة له ..

تعرف أنها فى وضع خارق للعادة وأن السلطات ستصدقها هى ولن تصدقه .. يمكنها طلب الجنرال فى أى وقت ، بل إن بوسعها بشىء من الصعوبة طلب هملر نفسه ...

وماذا عن أبيها ؟.. ألا يضعف هذا موقفها وثقة الحزب بها ؟

لا تعرف .. لكنها متأكدة من شىء واحد .. لقد أعدم الرجل غالبًا ..

ما زالت تذكر ليلة السكاكين الطويلة .. تلك الاحتفال النازى الذى قام فيه شباب الحزب فى ليلة واحدة بذبح كل المعارضين .. كل من حوله علامة شك .. وفى النهاية شنق الجميع بأسلاك الهاتف وعلقوا إلى أعمدة النور أوالقيت جثثهم فى الراين ..

إن فرصة المواطن المعارض أو على أضعف الإيمان الذى يريد أن يُترك وشأنه معدومة فى هذا المناخ ..

وماذا عن أخيها ؟..

ولم تكن تعرف أن أمها ستضطر إلى الحياة وحدها قريبًا جدًا ..

* * *

الآن عشرة أيام مرت على الدوتشى وهو معزول عن العالم فى محبسه ..

لكنه عرف أن طائرة استطلاع ألمانية حلقت فوق جزيرة (بونزا) والتقطت عدة صور . لهذا نقله الإيطاليون خارج الجزيرة ؛ لأنهم خافوا أن يهاجمها النازيون ..

لا أحد يعرف أنه هناك ، لكن تسرب الأخبار وارد .. والنازيون شياطين ..

هكذا انطلقت السفينة الحربية إلى جزيرة (مادالينا) .. البحر عاصف والأمواج عالية ، ونومه متقلب .. يشبه الإغماء من حين لآخر ..

وصلت السفينة إلى مادالينا حيث نُقل إلى بيت تحيط به أشجار الصنوبر ، ويطل على البحر . كان ناديًا لضباط الطوربيد فى السابق .

كانت مادالينا خالية تقريبًا من السكان بسبب الغارات المتكررة ، فلم يبق عليها إلا نفر من الصيادين ..

وشعر (موسولينى) بالخطر فى هذا المكان المنعزل ، الذى يحيط به البحر وجبال جالورا المظلمة السوداء . وفى الصباح كانت الشمس حارقة فعلاً ...

هنا وصلته هدية من (هتلر) أرسلها له منذ أسبوعين هى مجلدات (نيتشه) الأربعة والعشرون .. الأمر الذى لم يخفف من الوحشة كثيرًا ..عندما يرسل (هتلر) هدايا فهى تكون جديرة به ..

هكذا كان (موسولينى) يقضى الوقت يقرأ فى شرفة داره ..

فى يوم 26 أغسطس حلقت طائرة ألمانية منخفضة فوق الشرفة .. كانت منخفضة إلى حد أنه رأى بوضوح وجه الطيار ينظر له .

بعد قليل جاء ضابط الحراسة ليخبر الدوتشى أنهم سينقلونه إلى مكان آخر ..

ـ « هناك حشد من الغواصات الألمانية يحوم حول الجزيرة .. هؤلاء القوم شعروا بشىء .. »

الميناء من جديد ...

فلو كان موسولينى يعرف مصطلح (الكعب الدائر) المصرى الشهير لوصف به الموقف ..

وفى هذه المرة نقلته طائرة حربية بحرية إلى بحيرة براسيانو .. من ثم إلى روما ..

8- فلنسلم الدوتشى !

رأى موسولينى معالم الطريق من سيارة الإسعاف التى تنقله فارتجف ..

إنه طريق أكويلا .. الوادى الذى يفصل بين جبال سابين عن جبال أبروز ..

إنهم يتجهون إلى (صخرة إيطاليا العظمى) .. جران ساسو Gran Sasso .. أكثر جزء يحبه من خارطة إيطاليا ..

جبال شاهقة .. الأغنام التى ترعى يحرسها رعاة على صهوات خيولهم يبدون فى خشونتهم وفروسيتهم كأنهم جاءوا من عصر آخر .. نحن على ارتفاع عشرة آلاف قدم عن البحر وسط إيطاليا ..

على أعلى قمة فى هذا الجبل يوجد فندق اسمه (برجوريفوجيو) .. والفندق يعتبر منتجعًا لكنهم خصصوه لإقامة الدوتشى ..

وفى دهشة نظرت مديرة الفندق إلى الدوتشى الذى بدا لها رجلاً شاحبًا مذعورًا .. هل هذا هو حقًا ؟؟

رأته يركع على الأرض فى حجرته ليجمع السجاد ويقول للحراس :

- « ما دمت سجينًا هنا فعليكم أن تعاملونى كسجين ، وإلا فأعيدونى لبيتى ! »

ومن جديد بدأت دورة الحياة المملة .. الطعام عديم المذاق قليل الكمية .. فقط كان هناك الكثير من العنب ، وكان يحبه لدرجة التهام ثلاثة كيلوجرامات منه يوميًا ..

فى المساء العشاء ثم لعب الورق مع الحراس .. ثم ساعة من سماع المذياع قبل النوم ..

أحيانًا كانت تتاح له متع فريدة من نوعها ..

كان يلعب الورق عندما سمع شجارًا على الباب بين راع خشن ورجال الحراسة ..

رجل الحراسة يقول :

- « ممنوع الدخول هنا ! »

والراعى يقول :

- « أريد شراء بعض النبيذ .. أنت لن تستطيع منعى ! »

هنا هتف موسولينى فى الجندى :

- « دعه يدخل .. »

دخل الراعى الخشن الذى لم يعتد المجاملة ، والذى بدا واضحًا أنه لا يعرف أنه يقف أمام زعيمه السابق ، فاقتاده موسولينى

إلى منضدة وطلب له زجاجة نبيذ .. راح الراعى يجرع ويمسح فمه بكمه فسأله (موسولينى) متلطفًا :

ـ « ما الخدمات التى قدمتها الفاشية لرعاة الماشية مثلك ؟ »

ـ « خدمات كثيرة ... مثل .. مثل .... »

وراح يفكر بعض الوقت ثم قال :

ـ « لا اذكر أية خدمة فى الواقع ! »

ووضع يده على كتف (موسولينى) بلا كلفة وقال له :

ـ « يا رجل .. هم كانوا مخطئين .. (موسولينى) العجوز فرض علينا الضرائب وترك الموظفين يسرقون منا الصوف والجبن .. »

تجاهل (موسولينى) هذه النقطة .. الرجل يتكلم على حريته فدعه .. وعاد يسأل :

ـ « لماذا انتهت الحرب بهذا الشكل ؟ »

قال الراعى وهو يضيق عينيه فى ذكاء :

ـ « كان اللصوص فى كل مكان .. كثيرون أكلوا الخبز المخصص للجنود .. »

ثم انتهى من كأسه فنهض وعانق الدوتشى وصافحه وقال :

ـ « اعتن بنفسك يا (موسولينى) .. شكرًا على الشراب ! »

إذن كان يعرفه منذ البداية !

فى الحقيقة استمتع (موسولينى) بهذه الجلسة أيما استمتاع ، وراحت عيناه تلمعان .. لا شىء أكثر سحرًا من أن تقابل رجلاً على طبيعته لا ينافقك ولا يخشاك ولا يتملقك ..

صعد لغرفته وفتح المذياع على إذاعة برلين ، هنا سمع أنباء كارثية ..

قالت المذيعة :

ـ « أذيع رسميًا أن الشيفالييه بودليو وقع ميثاق الهدنة مع الحلفاء .. ومن شروط هذه الهدنة تسليم موسولينى إلى قوات الحلفاء !!.. »

* * *

كان يخشى استسلام إيطاليا وعندها سيكون أول شروط هذا الاستسلام ، تسليمه إلى انجلترا !!.. ولسوف يصنع البريطانيون من جلده نعالهم ..

* * *

كان الحارس الخاص لموسولينى (فيولا) يجلس فى الغرفة المجاورة عندما جلب له خادم موسولينى رسالة قصيرة .. فتحها فوجد التالى :

« لا ريب فى أنك كجندى تدرك ما يعنيه وقوعى فى يد الأعداء . لن أرضى بتاتًا بأن يتم تسليمى إلى البريطانيين لذا أطلب منك أن تسلمنى مسدسك .. »

ـ « يا للكارثة ! »

كذا صاح فيولا ووثب كالملسوع إلى غرفة الدوتشى فوجده يجلس على الفراش وهو يعد شفرة حلاقة حادة ، يريد أن يختار لها شريانًا ثريًا فى معصمه ..

قام فيولا بأخذ كل شىء يصلح للانتحار فى غرفة (موسولينى) ثم قال للدوتشى :

ـ « أنا كنت أسيرًا فى طبرق ، وأعرف كيف يعامل البريطانيون الإيطاليين فى توحش .. لهذا لن أسلم إيطاليًا إلى البريطانيين أبدًا .. »

وسال الدمع من عينيه ..

لكنه كان يدرك أشياء أخرى لم يقلها للدوتشى ..

يدرك أن الاحتمال الأكبر هو أن يصل الألمان للدوتشى أولاً ، وكانت لديه تعليمات صريحة من قيادته تزيد الأمر تعقيدًا :

« لا يُسمح للألمان بأى ثمن أن يحصلوا على (موسولينى) حيًا ! »

* * *

9ـ فلننقذ الدوتشى !

(عبير) كانت عائدة إلى دارها بعد احد اجتماعات الحزب ..

إنه السادس والعشرون من يوليو عام 1943م ..

كانت صامتة شاردة الذهن تنظر إلى الأرض وهى تعبر ذلك الشارع الضيق عندما شعرت بأن الطريق مسدودة ، وأن هناك حذائين عسكريين لامعين يسدان عليها الممشى ..

رفعت رأسها لترى الملامح المميزة لضابط من رجال الصاعقة . على الكاسكيت الذى يضعه على رأسه علامة الجمجمة الرهيبة التى لا يضعها الجميع .. إنه شعار رأس الموت الذى يضعه رجال Totenkopfverbände ومعها شعار يقول (إخلاصى هو شرفى) .. وراءه كانت سيارة سوداء تعرف جيدًا معنى وجودها هنا ..

ـ « فرويلاين (شتورمجر) .. أرجوان تأتى معنا .. »

نظرت له فى قنوط .. من الواضح أنها مهمة أخرى لدى الصاعقة ، وهو أسوأ وقت ممكن .. أمها وحدها الآن .. ومن الوارد جدًا أن يكون ذلك الأحمق (مولر) نقل عنها الأكاذيب لينتقم ، ومعنى هذا أنها ستتغيب عن أمها كثيرًا جدًا ..

ربما للأبد !

لكن المرء لا يجادل كثيرًا مع رجال الصاعقة .. هكذا دخلت من باب السيارة المفتوح وهى تتمنى لو كان من يرغمها على الركوب مجموعة من المجرمين ينوون خطفها ثم فصل رأسها وإلقاء جثتها فى النهر .. بالتأكيد هذا أفضل بكثير ..

تنطلق السيارة عبر شوارع المدينة المظلمة ..

كانت قد تعلمت من تجارب كثيرة أنه لا داعى لإضاعة الوقت فى الأسئلة .. هؤلاء لا يجيبون عن أى شىء ..

إن السيارة تتجه فى الظلام إلى مطار (تمبلهوف) .. هناك كانت طائرة من طراز (يونكرز) تهدر محركاتها ..

نظرت (عبير) فى جزع إلى الضباط من حولها وسألت :

ـ « مسافرون ؟.. إلى أين ؟ »

لكن لا أجوبة كالعادة ..

إنها تقاد إلى الطائرة ، وتجد مقعدًا فتجلس ويأمرها مضيف أقرب إلى الجندى بأن تربط الحزام .. نظرت جوارها فوجدت تلك الفتاة (أولجا) التى كانت معها فى التدريبات .. الفتاة ذات القدم الكبيرة التى لعرقها رائحة الكرنب ..

سألت الفتاة بينما الطائرة تهدر فوق الممر :

ـ « إلى أين ؟ »

قالت أولجا بطريقتها الخبيثة :

ـ « غالبًا إلى ما تم تدريبنا من أجله ! »

* * *

بحيرة هادئة فى الظلام بعد طيران ثلاث ساعات ..

سيارة مرسيدس سوداء تقف جوار البحيرة ..

ثم الرحلة عبر غابة ألمانية متشابكة جدًا ..

هناك حاجز عسكرى يقف عليه ضباط متشككون .. طلبوا أوراق السيارة وتفحصوا الجالسين فيها بدقة مع الكثير من الشينات والخاءات .. كشاف يعمى العيون يتفحص الجالسين .. ثم ..

تنطلق السيارة عبر ممر آخر فى الغابة .. هناك حاجز آخر .. فحص أوراق وكشاف ..

هذه المرة كان على السيارة أن تمر أمام مدفع قادر على تبخير مدينة لا سيارة .. ومن جديد تم فحص الأوراق ..

ما هذا ؟.. هل هم ذاهبون إلى قدس الأقداس ؟

أخيرًا هناك مبنى من خشب به غرفة مريحة .. أرض مفروشة ببساط سميك ، وهناك وجدت (عبير) مجموعة من الرجال العسكريين جالسين يمسك كل واحد منهم بمشروب فى يده ويدخن .. لم تكن هناك سوى فتاتين هى و (أولجا) ..

الرجل الذى استرعى نظرها بشكل خاص كان ضابطًا وسيمًا رياضى الجسد ، لكن السبب فى أنه لفت نظرها الجرح الطويل العميق على خده الأيسر .. كانت رياضية لذا تعرف أن هذا الجرح يميز المبارزين البارعين ويعتبرونه من علامات الشرف ، ويُطلق عليه اسم Smite ..بالواقع كان وجه الرجل يشى بشجاعة وقوة جديرتين بأبطال السينما . هذا وجه لا تقابله إلا نادرًا ... وكان يدخن بكثافة لأن التدخين كان فى ذلك العصر من سمات الرجولة ، قبل أن يعرف الطب أنه من سمات البلاهة .

سمعت أحدهم يناديه باسم (سكورتسينى Skorzeny) .. (أوتو سكورتسينى) اسم مهم جدًا قرأته أو سمعته فى مكان ما لكنها لا تذكر أين ..

جلست وجلست (أولجا) .. وهمست فى أذن صاحبتها :

ـ « لا أعرف ما يريدون منا القيام به ، لكن لو كان على الاختيار لاخترت هذا الرجل ذا الندبة على خده .. إن الكفاءة تطل من عينيه ، ومن لا يرشحه أحمق ابن أحمق .. »

ثم مدت أولجا يدها فى جيبها وأخرجت زجاجة صغيرة وفتحت سدادتها ..

هنا لاحظت أن ذلك الشاب (سكورتسينى) ينظر لها فى دهشة وفضول, وابتسم وقال لها :

ـ « ما هذا ؟.. مشروب كحولى ؟ »

قالت أولجا فى فخر بطريقتها التلقائية المقتحمة :

ـ « لا .. إنه عصير بيتى تقوم أمى بصنعه . هل تجربه ؟ »

مد يده وأمسك بالزجاجة فى حذر ، وشم فوهتها ثم ألصقها بشفتيه وجرع جرعة كبيرة :

ـ « لا بأس .. يذكرنى بمذاق .. بمذاق الـ ... »

قالت أولجا فى فخر :

ـ « الكرنب !.. أمى تصنع عصير كرنب ممتازًا لذيذ الطعم ! »

كانت هذه هى القشة التى قصمت ظهر البعير .. لقد تحسس (سكورتسينى) معدته وتحول لون وجهه إلى الأخضر ، ثم وضع يده على فمه وهرع يبحث عن مكان يفرغ فيه معدته .. وحدثت حالة من الفوضى ..

قالت أولجا فى غيظ :

ـ « كنت مخطئة .. هذا الفتى مدلل !.. يحب التظاهر بأنه رقيق ذو معدة حساسة برغم أنك لو سألت عنه لعرفت أنه كان يأكل أمعاء الخنازير .. »

فى اللحظة التالية دخل الحجرة نقيب من الحرس النازى ، وعد الموجودين ثم قال فى حيرة :

ـ « أحدكم ناقص ! »

قال ضابط من الجالسين :

ـ « إنه يفرغ معدته لأنه شرب عصير كرنب .. أعتقد أنه غير قادر على العودة حالاً .. »

قال النقيب فى توتر :

ـ « لا وقت لانتظاره إذن .. يا سادة .. أنتم ستقابلون الفوهرر الآن ! »

انفجرت الكلمة كالقنبلة فى صمت الغرفة وسقطت لفافات التبغ من الأيدى .. كان عليهم أن يخمنوا هذا ..

ـ « سوف يذكر كل منكم رتبته وتدريبه ، ويجيب عن أى سؤال يوجه له .. هيا بنا .. »

نهضت (عبير) وهى تشعر بأن ساقيها لينتان .. هى قابلت (هتلر) من قبل كما تعرف ، لكنك تدرك ضخامة الموقف عندما ترى ردود أفعال من حولك .. لهذا لا يظهر البطل فورًا فى المسرحيات الكوميدية بل يظل الممثلون الآخرون يتكلمون عنه نحو عشر دقائق قبل أن يظهر هو وقد أعد المكان لدخوله فعلاً .. عندها ينفجر التصفيق .. خبراء الدعاية الأمريكيون يعرفون هذا ، لهذا تنظر زوجة الرئيس ونائبه فى اتجاه الرئيس فى انبهار مما ينقل هذا الانبهار لشخصية الرجل ، ويشعر الناس أنه أكبر من الواقع ذاته(*) ..

بطنها تتلوى توترًا ..

هناك غرفة عملاقة امتلأت جدرانها بالخرائط ..

رائحة غريبة فى الجو ...

ثم انفتح باب جانبى وظهر الفوهرر ..

* * *

(*) لو كنت مهتمًا بمعرفة المزيد عن هذه الحيل ، راجع كتاب (خفايا نظام النجم الأمريكى) لبول وارن من ترجمة حليم طوسون . سلسلة الألف كتاب الثانى رقم 184 . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1995

عندما رأته عبير أول مرة فى قصة سابقة ، كان قد بدأ الهبوط من أعلى المنحدر .. كان مرهقًا له كتفان ذابلتان وعينان ميتتان ..

اليوم هى تراه عن قرب فى ذروة عنفوانه وتأثيره ..

اليوم تفهم لماذا استطاع أن يُنوّم هذا الشعب ويقوده إلى الهاوية ..

وجه واثق .. عينان لامعتان ذكيتان .. ابتسامة خافتة ..

فى عصبية أدى الضباط التحية العسكرية فردها بشكل نازى تمامًا ..

كان يلبس قميصًا أبيض وربطة عنق سوداء وعلى ياقته ثبت الصليب الحديدى .. صليب مالطة ..

مشى إلى الضابط الأول ووقف يتبادل معه حديثًا خافتًا .. ثم مشى إلى الثانى وتبادل معه حديثًا .. وهكذا حتى بلغ (عبير) ، وتوقعت أن يقول لها إنه قابلها فى مكان ما من قبل ، لكنه نظر لها نظرة ثاقبة وقال :

ـ « فتاة .. هه ؟ »

كأن هذا غير واضح لذا تصلبت وهتفت :

ـ « فتاة يا فوهرى ! »

وتلت عليه قائمة بالتدريبات التى حصلت عليها .. بعد هذا انتقل إلى أولجا .. قال الضابط المرافق له :

ـ « إنهما من فرقة الكوماندوز النسائية الخاصة التى تم تدريبها فى (الرور) يا فوهررى .. »

قال هتلر باسمًا :

ـ « فتاتان .. قد تكونان عاليتى الكفاءة لكن العملية التى نحن بصددها تحتاج إلى رجل .. »

ثم تراجع إلى الوراء وقال :

ـ « من منكم يعرف إيطاليا ؟ »

هنا هتفت (عبير) بطريقتها العسكرية الصارمة :

ـ « أنا يا فوهررى !.. لقد اشتركت فى عدة دورات هناك .. »

ـ « هل تجيدين الإيطالية ؟ »

ـ « نعم يا فوهررى .. »

قال عبارة بالإيطالية فردت عليه برد مناسب .. عاد يسأل :

ـ « ما رأيكم فى إيطاليا ؟ »

أخذ الضباط يتحدثون عن المحور والفاشية .. يقولون كلامًا فارغًا بالطبع .. لكن صوت (عبير) اندفع يقول فى حماس :

ـ « أنا ألمانية يا فوهررى .. »

ساد صمت ثقيل ، ورأت أن عينيه القويتين تنظران لها فى إمعان ..

هنا قال الضابط المتحمس الذى كان يُعرّف الفوهرر بهم :

ـ « إنها من أبرع الرياضيات وقد حققت أرقامًا مذهلة فى الوثب بالمظلة .. ولكن هناك مشكلة تتعلق بـ ...... »

وراح يهمس فى أذن الفوهرر .. يتكلم عن أبيها (الخائن) طبعًا ، لكن هتلر شوح بيده بمعنى أن هذا لا أهمية له وقال :

ـ « أنا أعرف النازى المخلص عندما أراه .. »

ثم نظر لها الفوهرر وقال :

ـ « ابقى أنت ولينصرف الباقون ! »

* * *

10 ـ فلنجد الدوتشى !

(عبير) وحدها الآن مع الفوهرر ..

قال لها بصوته المجلجل :

ـ « إن موسولينى صديقى وزميلى المخلص فى السلاح قد تعرض لخيانة من ملك إيطاليا .. أنا لن أتخلى عن أعظم رجل أنجبته إيطاليا فى ساعة محنته .. إن هذا الرجل يمثل لى كل عظمة الرومان .. لذا يجب أن أنقذه .. لا يوجد سبيل آخر .. »

ثم نظر لها فى عينيها وقال :

ـ « من الغريب أن أكلف امرأة بهذه المهمة ، لكن الأغرب أن كل الصفات المطلوبة تنطبق عليك .. إجادة الهبوط بالمظلات .. الولاء للرايخ .. معرفة إيطاليا .. معرفة اللغة الإيطالية .. »

ثم أردف :

ـ « مهمتك هى أن تنقذى الدوتشى من محبسه .. »

شعرت بتوتر وبالدم يغلى فى عروقها ..

ـ « هناك كثير من التفاصيل سوف تعرفينها فيما بعد .. »

هكذا أدت التحية العسكرية وقالت :

ـ « فهمت أيها الفوهرر وسأنفذ المهمة .. »

وعندما غادرت الغرفة كانت عيناه لا تفارقانها ..

ظلت هاتان العينان تحرقان مؤخرة عنقها حتى عندما استدعيت إلى مكتب آخر ..

فى الممر الخارجى رأت ذلك الرجل الذى لا يتناسب مع الجو على الإطلاق .. بذلة سوداء وقلم جاف زنبركى ونظرة لامبالية .. كان يستند إلى أحد الجدران ويثرثر مع حارس نازى ..

ـ « مرشد !.. ماذا تفعل هنا ؟ »

ـ « أراقب مجريات الأمور .. هل أنت مستمتعة ؟ »

قالت فى حيرة :

ـ « إنقاذ موسولينى ؟.. أنا ؟ »

قال لها باسمًا :

ـ « كل هذه ترتيبات من فانتازيا .. فى هذا العالم الذكورى العنيف حيث يتم الكلام بالسيف أو طلقات النار ، لا يكون بوسعك أن تشتركى فى الحرب إلا لو صرت رجلاً كما حدث مع « رمسيس الثانى »

و« روبن هود » أو صرت عضوًا فى فريق كوماندوز أنثوى .. لم يكن بوسعى أن اجعلك حبيبة موسولينى (كلارا) لأن هذا معناه ألا دور لك على الإطلاق سوى أن تموتى .. »

ـ « وهذا الضابط الذى أصيب بالتسمم من عصير الكرنب ؟ »

ـ « آه ؟.. (أوتو سكورتسينى) ؟.. إنه بطل من طراز نادر وهو الذى أنقذ موسولينى فى الحقيقة ، وحياته قصة فريدة من نوعها تستحق مغامرة أخرى فى فانتازيا .. هل تعرفين أنه كان مستشارًا للرئيس (جمال عبد الناصر) فى مصر ؟.. لقد اضطررت لهذه الحيلة كى أمنعه من لقاء هتلر .. »

ـ « لكنك تعرف أننى لا أقدر على مهمة كهذه .. »

ـ « سوف تنجحين .. ولكن ليس بسهولة .. والآن هيا بسرعة لأنهم ينتظرونك .. »

دخلت إلى الغرفة المجاورة لتجد جنرالاً نازيًا ورجلاً قصيرًا قميئًا له شارب صغير مضحك ونظارة رفيعة الإطار .. رجلاً يوحى بالشر والدناءة ..

(هملر Himmler) المرعب !... الكابوس ...!... السفاح .. إنه هو بلا شك ..

قال (هملر) :

ـ « أنت فتاة .. لا أحد يعترض على اختيارات الفوهرر فهو يعرف أكثر من الجميع ، لكنى اشك فى قدرتك على النجاح . النساء لا ينجحن أى شىء .. »

ـ « شكرًا .. »

عاد يقول :

ـ « هناك إيطاليون كثيرون يحاولون التفاوض مع الحلفاء الآن .. إن إيطاليا سوف تفلت منا ما لم يتم تحرير موسولينى .. »

أخرجت ورقة وقلمًا لتدون النقاط الأساسية ، لكنه صاح فى جنون :

ـ « هل جننت ؟.. لا شىء من هذا يجب أن يدون على الورق .. إنه سرى للغاية .. فى وسعى أن أرى أنك غير صالحة على الإطلاق ! »

لكن الجنرال كان أكثر هدوءًا ، وقد عرفت (عبير) أنه الجنرال (شتودنت) المسئول عن إعداد الخطة ..

المشكلة الآن هى أن نجد الدوتشى ...

* * *

لم تنم (عبير) تلك الليلة ..

لقد راحت تعد كل ما يلزم عملية الاستكشاف فى إيطاليا .. ملابس تنكرية .. اسلحة .. متفجرات .. وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى كانت الطائرة الألمانية تحلق نحوايطاليا ..

الحقيقة أن البحث عن الدوتشى فى إيطاليا كان عسيرًا .. نظريات عديدة تناثرت فى كل مكان :

ـ « الدوتشى فى الشمال تحت حراسة .. »

ـ « الدوتشى انتحر .. »

ـ « الدوتشى يقاتل فى الجبهة .. »

ـ « الدوتشى فى إسبانيا .. »

كلف رجال المخابرات الألمان بعمل كل استطلاع ممكن ، بينما قام هتلر بنشاط محبب له هو أن يحضر العرافين ليخمنوا له مكان موسولينى ..

فى النهاية وجدت خطابًا كتبه ضابط إيطالى فى جزيرة (بونزا) لحبيبته يخبرها فيه :

ـ « هناك شخصية سياسية مهمة سجينة على الجزيرة .. »

ثم جاء خبر آخر أن الدوتشى فى جزيرة (مادالينا) ...

هكذا انطلقت إلى الجزيرة مع ضابط ألمانى يجيد الإيطالية ..

دخلا إلى الحانة حيث كان الرعاة يشربون الخمر ، وراحت تترنح وتغنى مع الضابط المتنكر متظاهرين بالثمل .. لم يكن هناك شك فى أنهما حبيبان .. حبيبان ثملان .. من المدهش أن تقرأ كم مرة استعملت فيها حيلة الجندى الثمل فى عمليات المخابرات .. هو دائمًا يسمع الكثير أو يستعمل لتسريب أخبار زائفة .. لو كان هؤلاء القوم أكثر حكمة لأعدموا أى جندى ثمل فورًا بتهمة التجسس !

قرب الضابط شفتيه من أذنها وقال بصوت عال :

ـ « سأقبلك قبلة لا يستطيع الدوتشى أن يقبل امرأة مثلها ! »

قالت جملة الحوار المتفق عليها :

ـ « أنت تعرف أن الدوتشى مات .. »

كان هذا أقوى مما يتحمله البسطاء الذين يريدون أن يظهروا عالمين ببواطن الأمور .. لا أحد من هؤلاء يتحلى بمزية الصمت الحكيم ، لذا قال فلاح إيطالى عجوز :

ـ « الدوتشى حى يا فتاة ! »

نظرت له (عبير) ورمشت بعينيها كأنها لا تراه جيدًا وقالت العبارة المتفق عليها :

ـ « هل تراهننى ؟ »

من جديد كان هذا أقوى من تحمل العامة الإيطاليين فلا أحد منهم يجرؤ على مقاومة الرهان ..

هكذا اصطحبهما الفلاح إلى منزل قريب وأشار فى فخر إلى رجل يجلس فى الشرفة ..

رجل أصلع عارى الصدر ضخم الجثة !

ـ « هل رأيت يا فتاة ؟.. هذا هو الدوتشى ! »

* * *

إلى برلين هرعت (عبير) تخبر الفوهرر بما وجدته وما رأته .. كانت قصتها قوية جدًا وقد أصغى لها هتلر فى اهتمام .. فجأة نهض وقال :

ـ « أنا أصدقك ... مطلوب منك أن تعدى خطة لخطف الدوتشى من مادالينا ! »

وابتسم ابتسامة أشاعت الدفء فى قسمات وجهه وقال :

ـ « ستنجحين يا (شتورمجر) !.. »

لم يعد بوسعها أن تفشل بعد هذه الثقة المغناطيسية ..

11- فلنخطف الدوتشى !

فى السابع والعشرين من أغسطس ، وهو اليوم المقرر لبدء العملية ، عرفت عبير أن موسولينى تم نقله من جديد ..

لكن الأقدار شاءت أن يكون البحث اسهل هذه المرة ..

لقد شوهدت طائرة تهبط عند بحيرة (براسيانو) ، ثم التقطت المخابرات رسالة بالإيطالية تقول :

ـ « موسولينى تم نقله إلى الصخرة الكبرى (جران ساسو) .. »

هذه المرة لن تكون هناك أخطاء ..

على سبيل الاحتياط أرسلت بعض الضباط متظاهرين بأنهم أطباء يدرسون الملاريا فى المنطقة .. الملاريا وإيطاليا لفظتان متلازمتان أو كانتا كذلك ، وقد كان هناك نشاط كبير لأطباء المناطق الحارة الألمان فى إيطاليا فى هذا الوقت ..

لكن الأطباء المزيفين لم يستطيعوا الاقتراب من الصخرة الكبرى ، لأن الشرطة تحرس محطة التلفريك ، وقيل لهم : إن الفندق مخصص للتدريب العسكرى والمنطقة كلها محظورة ..

ثمة شىء مهم يجرى فى هذا الفندق ..

وحلقت طائرات استطلاع ألمانية فوق الفندق فى حذر والتقطت عدة صور للمنطقة ، سرعان ما استقرت أمام الجنرال (شتودنت) الذى وضع خطة الهجوم ..

تأمل الجنرال الخارطة وصور الاستطلاع وقال لـ (عبير) :

ـ « أمامنا ثلاثة احتمالات :

« الاحتمال الأول هو الهجوم من الأرض وتسلق المرتفعات .. هذا عسير لأنه يحتاج إلى عدد هائل من الجنود ..

« الاحتمال الثانى : عمل إنزال بالمظلات .. وهذا عسير لأن الجنود سوف يتفرقون فى هذه المرتفعات الوعرة الخطرة .. سوف نفقد كثيرين منهم ..

« الاحتمال الثالث : الهبوط بطائرة من دون محرك .. »

قالت (عبير) :

ـ « لا توجد أرض تسمح بهبوط طائرة .. »

قال وهو يشير إلى رقعة على الخارطة خلف الفندق :

ـ « هنا .. هذا المثلث .. أرض صغيرة وعرة وسوف نفقد الكثير ، لكنها تظل الخطة الأقرب إلى النجاح .. وسوف تتم يوم 12 سبتمبر .. الساعة الثانية بعد الظهر .. »

هنا اقترح مساعده :

ـ « لابد من جنرال إيطالى معنـا .. هذا الضـابط سوف يربك الإيطاليين ويجعلهم فى حيرة من أمرهم ، وبالتـالى لا يبـادرون بقتل الدوتشى إذا شعروا بالحصار .. »

ابتسم الجنرال وقد راقت له الفكرة وطلب أن يبلغوا الجنرال الإيطالى (سوليتى) الذى احتفظ بوفائه للفاشية والنازية ..

* * *

إنه اليوم الموعود ..

لقد بـدأت عملية البلوط operation Eiche أو غـارة (جران ساسو) كما سماها البريطانيون بعد ذلك ..

تركب (عبير) قـائدة الهجوم طـائرة من الطـائرات الأثنتـى عشرة ..

وارتفعت الطـائرات إلى عنـان السـماء ، فتـألقت فـى ضـوء الشمس ... لامعة مهيبة ..

الحر خانق داخل الطائرات ، وقد فقد بعض الجنـود وعيهم .. لكن (عبير) متماسكة تتذكر عينى الفوهرر وكلماته .. لا يهمهـا ما يحدث بعد ذلك .. لقد طلب منها طلبًا وسوف تنفذه ..

ونظرت إلى ساعتها لتجد أنها الثانية بالضبط ...

أزاحت جزءًا من شراع الطائرة فرأت الفندق القابع فـوق الصخرة الكبرى ..

وسرعان ما راحت الطائرات تنزل فـوق الأرض الوعرة فشـعروا بـأن عظامهم تتحطم .. ولـم تسلم أغلب الطـائرات من التحـول لفتات لكن أيًا من الرجال لم يصب ..

ومن إحدى الطـائرات التى تحطمت وثـب الجنرال الإيطــالى يصيح فى الجنود الإيطاليين الذين هرعوا لدى سماع الارتطام :

ـ« لا تطلقوا النار! .. لا تطلقوا النار! »

كان موسولينى قد سمع الضوضاء وهو جـالس فـى الشرفة ، فخرج ليرى أفضل .. وجد الطـائرات تهبط فـى الفسحة أمـام الفندق .. بعضها تحطم وبعضها يوشك على ذلك ..

هنا فوجئ بحارسه فيولا يقتحم الشرفة صائحًا :

ـ « إنهم الألمان يا سيدى !!.. »

ثم أخرج مسدسه وصوبه إلى الدوتشى وصاح بصوت مرتجف :

ـ « ادخل الغرفة ولا تتحرك ! »

أما (عبير) فكانت فى مشهد جدير بأفلام (الأكشن) .. لو أن أمها رأتها لزغردت فرحًا .. إنها تركض بثيابها العسكرية حاملة مسدسها .. تندفع كالسهم عبر باب الفندق .. ومن خلفها رجالها ..

كان هناك جهاز لاسلكى فى اللوبى فأطلقت عليه رصاصة .. تناثرت الشظايا فى كل صوب ..

ثم أسرعت تركض صاعدة الدرج .. نظرت لأعلى فرأت نافذة مربعة صغيرة يطل منها رأس أصلع خائف ، فصرخت بأعلى صوتها :

ـ « ابتعد عن النافذة ! »

هنا قابلها أحد رجال الشرطة وأدركت أنه مذعور جدًا لذا اكتفت بأن ركلته بحذائها العسكرى فتدحرج على الدرج ..

الحقيقة أن سماع الكلمات الألمانية أصاب الحراس الإيطاليين بالهلع ، ولهذا ألقوا أسلحتهم وراحوا يجرون وهم يتصايحون كالدجاج ..

تصعد كل ثلاث درجات معًا .. كان هناك رواق طويل ..

قالت لنفسها إن هذه هى لغة الفنادق حيث يكون عليك أن تستكشف كل غرفة على الجانبين ..

ركلت أول باب بقدمها وهى تأمل أن يكون هو ..

هنا رأت موسولينى للمرة الأولى يقف فى وسط الحجرة ..

كان فيولا يقف جواره وهو يرتجف وفى يده المسدس .. اطلقت رصاصة واحدة أطارت المسدس من يده .. إن تدريب الصاعقة البارع الشاق يؤتى أكله ..

صاحت بالإيطالية بأعلى صوتها :

ـ « أريد قائدكم الإيطالى هنا ليخبرنى أنكم استسلمتم ! »

خلال دقيقة ظهر ضابط إيطالى برتبة عقيد وفى يده كأس من نبيذ أحمر .. وفى تهذيب انحنى وقدمه لـ (عبير) قائلاً :

ـ « إلى المنتصر ! »

سكبت الكأس وهى تتساءل عن ماهية هؤلاء القوم .. ألا يريدون أن يطلقوا رصاصة واحدة على سبيل الكرامة ؟..

وما شأن موسولينى هذا ؟.. شد ما اختلف عن الصور .. نحيل كالأشباح .. لحيته نامية .. مسن جدًا ..

واستدارت إلى موسولينى وأدت له التحية العسكرية النازية :

ـ « الفوهرر قد بعثنى لك يا دوتشى .. أنت الآن حر ! »

قال الدوتشى متعبًا :

ـ « كنت أعرف أن هتلر لن يتخلى عنى .. »

خرج الجميع من الفندق ، بينما هبطت طائرة صغيرة خاصة بالجنرال (شتودنت) أمام الفندق .. ودنت (عبير) من الطيار لتهنئه على الهبوط فقال لها فى رعب :

ـ « لا أعتقد أننى سأتمكن من الارتفاع بها ثانية ! »

لكنها لم تنقل هذه المخاوف لأحد ..

وقف موسولينى يصافح خدم وعمال الفندق الواقفين بالخارج ، ووجه لهم عبارات الشكر .. هذه حركة راقية جديرة بدكتاتور لا يتنازل عن شىء من صلفه ، لكن هذه اللمسات أقرب للغرور منها للتواضع ..

وقصد إلى الطائرة بينما جلس خلف المقود بطل الطيران الألمانى (جيرلاخ) ...

على جيرلاخ أن يقوم بمعجزة هى أن ينطلق ويحلق من هذه الرقعة الضيقة الوعرة ..

قالت عبير للطيار :

ـ « سوف آتى معك .. »

صاح (جيرلاخ) فى ذعر :

ـ « الطائرة لا تتحمل راكبًا واحدًا فكيف باثنين ؟ »

الحقيقة أنها لم تكن لتسمح للدوتشى بأن يخاطر وحده .. لو سقطت هذه الطائرة فمن الخير لها أن تسقط معه بدلاً من ان تعود حية للفوهرر .. لهذا لم تشعر بأى خوف على حياتها . لا يوجد شىء يخيف أكثر من خيبة أمل الفوهرر وغضبه ..

وكان موسولينى يشعر بالرعب بدوره لكنه لم ينطق بكلمة وحشر جسده فى المقعد الخلفى ..

انطلق هدير المحرك ، واندفعت عبر صخور الهضبة لتصل إلى الهاوية ..

إنها تسقط !!

لكنها عادت فارتفعت من جديد بضعة أمتار ثم هوت ثانية ..

وغابت تحت مستوى الهضبة ..

هرع الجميع ليروا نتيجة هذه المأساة فرأوا الطائرة تحلق فوق صخور الوادى ، بينما قائدها يحاول أن يرتفع بها .. بطل الطيران الألمانى قد تمكن من السيطرة على تلك الصخرة الهاوية .. ذلك العصفور المنحدر لأسفل ..

مدت (عبير) يدها إلى كتف موسولينى لتهدئه قليلاً .. كان شاحبًا والعرق يحتشد على جبهته لكنه صامت . هذا أسوأ إقلاع رآه فى حياته ، لكن (جيرلاخ) نجح فى عمل المعجزة ..

أخيرًا تحلق الطائرة عالية فوق الجبال بين السحب .. نهاية ممتازة لفيلم سينمائى خاصة لو دخلت هنا مقطوعة لـ (هنرى مانسينى) أو (جيرى جولد سميث) ..

ينظر موسولينى إلى أسفل ويقول لـ (عبير) :

ـ « هذه هى إيطاليا .. »

وراح يشرح لها كل المعالم التى يمرون بها ..

ثم مال رأسه على صدره ونام ..

* * *

فى الظلام هبطت الطائرة فى مطار فيينا ..

هناك كان حرس شرف من النازى ينتظرون الدوتشى ، وراحوا يؤدون حركات بارعة ومعقدة جدًا لكن الرجل لم يكن قادرًا على التركيز أوالوقوف على قدميه .. لا وقت للاحتفالات .. ولم يصدق نفسه عندما انتهى كل هذا وحملته سيارة إلى فندق (الكونتننتل) ..

عندما دخل إلى غرفته التى أعدوها له ، جاءه صوت الفوهرر عبر الهاتف يهنئه بسلامته ..

قال فى تعب وإرهاق :

ـ « أنا مرهق . أنا مرهق .. أريد أن أنام .. »

وعندما رفع رأسه وجد (عبير) تقف وفى يدها منامة جديدة أعدها له الحرس النازى ...

قال لها وهو يأخذ المنامة :

ـ « شكرًا .. أنا لا ألبس شيئًا أثناء النوم ليلاً .. »

وغمز بعينه فى خبث ، فقالت (عبير) لنفسها إن هذا الرجل (مش تمام) .. عاد يسألها :

ـ « قلت لى ما اسمك أيتها البطلة ؟ »

قالت وهى تؤدى التحية :

ـ « (هانا) .. (هانا شتورمجر) .. »

* * *

12ـ فلنرحب بالدوتشى !

اهتز العالم لنبأ خطف الدوتشى من محبسه (أو تحريره) . خاصة وأن ألمانيا تملك أكبر بوق دعاية عرفه التاريخ وهو الدكتور (جوبلز) . افتح المذياع تجد نبأ تحرير موسوليني .. اقرأ الصحف تجد نبأ تحرير (موسوليني) .. ادخل السينما تجد فى الجريدة السينمائية نبأ تحرير (موسوليني) .. افتح الثلاجة تجد نبأ تحرير موسوليني ..

الكوماندوز الألمان فعلوها .. وجدوا (موسوليني) وحرروه ولم يفقدوا واحدًا منهم ولا من الإيطاليين ..

أما (موسوليني) فقد نام نومًا طيبًا ، وفى الصباح جاءه الحلاق فحلق ذقنه ، وكانت المغامرة الكبرى هى أنه قرر أن يستحم . كان موسوليني يكره الاستحمام ويفضل أن يسكب الكولونيا على جسده يوميًا . لابد انه راح يصرخ ويبكى لأن الصابون دخل عينيه ..

تم نقله إلى ميونيخ ثم إلى بروسيا الشرقية ..

هناك يوم 15 سبتمبر التقى الحبيبان الدكتاتوران (هتلر) و(موسوليني) ، ومن الغريب أن الدموع كانت متحجرة فى عينى الفوهرر ..

إن محاولة فهم الكيمياء القوية بين هذين الرجلين تحتاج إلى خبير نفسى وليس مؤرخًا .. كلاهما دكتاتور لا يتمتع بأية درجة من الرقة ، لكن صداقتهما مؤثرة قوية إلى حد لا يصدق ..

غير أن هذا الحب الملتهب لم يدم طويلاً ، وسرعان ما اسفرت النازية عن وجهها القبيح المعتاد ...

سأله (هتلر) لما اختلى به ومعهما جوبلز وزير الدعاية الهتلرى :

ـ « ما هى خططك القادمة ؟ »

قال الدوتشى :

ـ « سوف أنسحب من الحياة العامة .. »

ضرب هتلر المنضدة بقبضته وصاح :

ـ « هذا سخف .. إنه يظهر للعالم أنك فقدت ثقتك فى ألمانيا !.. يجب أن تعود وتقيم حكومة فاشية قوية فى إيطاليا .. يجب أن تعود وتحاكم الخونة الذين أسروك وتعدمهم ..!.. يجب أن تسمح للنازيين أن يتواجدوا فى شمال إيطاليا لكى نصد أى هجوم يأتى من يوغوسلافيا .. »

فى ضعف قال (موسوليني) :

- « لكن زوج ابنتى (تشيانو) هو أحد هؤلاء الخونة الذين سجنونى .. »

قال الفوهرر على الفور :

- « هذا يجعل خيانته أدهى .. لوانك غفرت له لأفلت الأمر من يدك .. يجب على (موسولينى) أن يضرب المثال فى القسوة وأن يهتز العالم لعودته .. »

وتدخل جوبلز ليضيف كغراب البين ، وعلى طريقة (عاوزين نهدى النفوس) الشهيرة :

- « إذن سيعود تشيانو .. هذا القطر السام سيُسمح له بأن ينمو من جديد وسط الحزب الفاشى .. »

وكان بشكل ما يشعر بأن (موسولينى) تغير .. لم يعد حاقدًا بما يكفى أو دمويًا بما يكفى .. هذا رجل عجوز منهك يريد أن يتاح له التقاعد والراحة والجلوس فى الشمس ..

يجب أن يكون الطاغية حقودًا .. يجب ألا يربطه رابط بشىء أواحد .. هكذا هو (هتلر) .. هكذا هو عدوهم (ستالين) ..

قال جوبلز همسًا لرئيسه الفوهرر :

- « إنه إيطالى .. مهما فعل لن يستطيع الخلاص من هذا التراث المشين ! »

كان موسولينى مذعورًا ..

لقد بدا واضحًا أنه فى قبضة الألمان ولا مفر له ولا تراجع .. إنهم يملون عليه ما يجب عمله .. بل هم يقولون صراحة : إنهم سيحتلون شمال بلاده ..

(هتلر) يواصل الإملاء :

- « يجب أن تحصل ألمانيا على مقاطعة بزلزانوالإيطالية .. وكذا مقاطعتى تزرنتو وبيلونو .. ربما نحتاج إلى دالماتيا فيما بعد .. لابد من إعادة تنظيم مصانع إيطاليا من أجل الألمان .. يجب نقل المصانع إلى منطقة الألب .. يجب تزويد المصانع الألمانية بعمال إيطاليين .. »

(هتلر) متحمس وقد صار يصرخ تقريبًا ..

كان (موسولينى) يصغى عاجزًا عن الرد أوالاحتجاج ، وقد شعر بأنه لا حيلة له على الإطلاق .. إنه يتلقى الأوامر ، وهو لا يجرؤ على الاعتراض أوقول إنها قاسية .. لقد محيت شخصيته تمامًا أمام شخصية (هتلر) ، بينما هذا الأخير يقضم من بلاده قطعة تلو أخرى بدعوى حماية ألمانيا .. لا يوجد شك كبير فى شخصية حاكم إيطاليا الحقيقى الآن ..

وحينما انتهى الاجتماع الذى كان أسوأ اجتماع فى حياته ، كانت لديه قائمة من الأعمال يجب القيام بها ..

على الباب قابل (عبير) التى كانت شبه ملازمة له ، والتى وعدها هتلر بعدة أوسمة رفيعة ..

قال لها وهو يمسك بيدها :

ـ « سوف أعود إلى إيطاليا .. »

أحست فى لمسته بحنان أكثر من اللازم ، والحقيقة أنها كانت قد بدأت تميل له من دافع الشفقة باعتباره عجوزًا محطمًا تعسًا ..

قالت له بلهجة رسمية وهى تنتزع يدها :

ـ « رعاك الله يا الدوتشى .. هل ستطير بعض الرقاب هناك ؟ »

نظر لها فى عجز وقال :

ـ « الكثير منها .. لا أريد أن أفعل ذلك ، لكن بلادى قد صارت محتلة تقريبًا ولو تقاعست لصار الاحتلال الجزئى كليًا .. »

كانت تفهم أزمته ، وقد أشفقت عليه لكن عملها كان يقضى أن تكون بلا عواطف ، لذا قالت له :

ـ « نفذ كلام الفوهرر .. إنه الحكمة مقطرة .. »

قال لها وهو يمسك بيدها من جديد :

ـ « نسيت أن أشكرك على شجاعتك .. فى الغد عندما تأتين إلى إيطاليا يجب أن تكونى ضيفتى .. »

قالت فى سرها :

ـ « قال العنكبوت للذبابة : لماذا لا تأتين لبيتى لتناول العشاء ؟... »

هذا رجل لم يترك امرأة تمر فى حياته دون أن يتحرش بها أو يقيم معها علاقة ، وعلاقاته مليئة بالعنف والهمجية والضرب والصفعات .. امرأتان تحملتاه حتى النهاية هما (راشيل) زوجته و(كلارا) حبيبته .. وإن اعترفت لنفسها بأن شكله الحالى وقوتها الجسدية يوحيان بأنه هو الذبابة وهى العنكبوت

قارنت بين منظره الذابل وعينيه الميتتين وبين الفوهرر المليء بالحيوية والقوة ، وحمدت الله على أنها ألمانية .. فى هذه القصة طبعًا ..

أدت له التحية العسكرية وتمنت له التوفيق ..

ولم تعرف أنها لن تراه أبدًا بعد اليوم ..

* * *

هكذا أعلن موسولينى قيام الجمهورية ، وعين أعضاء حكومته الجديدة ..

كان مقر الحكومة الجديدة فى بلدة جرجنانو على ضفاف بحيرة جاردا .. وكان حراسه كلهم من الألمان .. الألمان باردى العواطف المتحفزين للقتل لو رأوا عصفورًا يتحرك فى الحديقة ، حتى إن ضابطًا منهم كتب لزوجته :

ـ « لا استطيع المشى فى الحديقة إلا وأنا أغنى وأصفر وإلا فجر أحدهم رأسى باعتبارى دخيلاً .. »

كل مكالماته يراقبها الألمان .. كل خطاباته يفتحها الألمان ..

إن الخيط الواهى بين من يحرسك ومن يسجنك يمكن أن يزول أحيانًا .. وفى هذه الحالة بالذات لم يعد له وجود ..

ومضى قدمًا إلى الاستيلاء على الحكم وإلى تشكيل محكمة مهمتها محاسبة الذين عزلوه .. كانت تعليماته لرئيس المحكمة هى :

ـ « أن يستلهم العدالة فى حكمه ، وأن يستلهمها من المصلحة العليا للدولة ، بحيث لا يكترث الحكم لأى إنسان مهما يكن ! »

« بحيث لا يكترث الحكم لأى إنسان مهما يكن » .. هذه العبارة واضحة جدًا ولا تحتاج إلى أى تفسير ، وقد فهم رئيس المحكمة الرسالة بوضوح : عليك أن تعدم زوج ابنتى الذى تآمر على ..

هنا جاءته ابنته (إيدا) وارتمت عند قدميه مثلما يحدث فى أفلام (يوسف بك وهبى) :

ـ « أرجوك أن تنقذ زوجى من الموت ! »

هنا ككل ديكتاتور فى التاريخ يلعب موسولينى لعبة (الأمر متروك لعدالة المحكمة .. وأنا لا أتدخل فى أحكام القضاء) .. كأنه غير قادر على أن يلغى القضاء ذاته فى إيطاليا لو أراد ..

ـ « لو غفرت أنا لزوجك فإيطاليا لن تغفر له خيانته وتآمره مع الإنجليز .. »

كان قد غدا صارمًا له وجه قُدَّ من صخر ، ويبدو أن هذه الصلابة رد فعل دفاعى لما شعر به من ضعف أمام هتلر .. هذا يشبه الرجل الخنوع المطحون الذى لا يجد طريقة سوى أن يصير متوحشًا مع ابنائه .. يبدوان هذا هو ألتفسير الوحيد لهذا الإصرار ..

على كل حال هرعت ابنته لتقابل الفوهرر مصدر القعوة الحقيقى لتبكى عند قدميه وتتوسل له أن يرحم أبَ عيالها ، لكن الفوهرر قال الكلمة المعهودة (هذا شأن إيطالى داخلى وليس من حقى أن أتدخل) ..

هكذا جنت الفتاة تقريبًا ودخلت مصحة عقلية ..وحينما خرجت فرت إلى سويسرا حيث راحت يائسة تحاول التفاوض مع الجشتابوعلى حياة زوجها مقابل المذكرات السرية التى كتبها .

طبعًا كان رأى (هملر) السفاح أن هذا كلام فارغ .. وقال ما معناه (يمكنها أن تبل هذه المذكرات وتشرب ماءها) ..

بينما موسولينى لا يكف عن ترديد :

ـ « هكذا كان الحكام الرومان أجدادنا .. لم يكونوا يترددون لحظة فى التضحية بزوجاتهم وأبنائهم .. »

حوكم ستة من المتهمين بينما فر 13 متهمًا خارج إيطاليا ..

ومن الطريف أن كل واحد من هؤلاء تلقى ليلة المحاكمة هدية من الدوتشى هى تابوت خشبى صغير !

كانت محاكمة مذهلة انتهت بالحكم على الجميع بالإعدام رميًا بالرصاص فى مؤخرة الرأس ، وهى طريقة إعدام الخونة فى إيطاليا ..

كان موت تشيانو جديرًا ببطل ، حينما أجلسوه على مقعد خشبى من مقاعد المدارس فى صف مع رفاقه على حين وقف جندى نازى مفترس خلف كل واحد منهم .. فى لحظة الإطلاق

تحرر تشيانو من قيوده ووثب مواجهًا جلاديه ، وهو يبتسم ابتسامة واثقة فى وجه عدسة المصور الألمانى الذى كان يلتقط صور التنفيذ .. وهى صورة ما زالت شهيرة جدًا حتى اليوم ويعرفها كل إيطالى .. ..

عندها اضطروا إلى إطلاق الرصاص عليه من الأمام ...

سمع (موسولينى) الخبر فراق له كثيرًا أن هؤلاء القوم ماتوا فى شجاعة كفاشيين نبلاء ، وخاصة ما فعله زوج ابنته .. لقد أحسن الاختيار لابنته فعلاً ولم ينخدع فى نبل الفتى وجسارته !.. ثم قال :

ـ « لقد بدأنا دحرجة الرءوس .. فعلينا أن نمضى فى هذا حتى النهاية ! »

غير أن زوجته رأته يبكى بحرقة وهو يركض إلى مكتبه ..

* * *

13 ـ فلننس الدوتشى !

فلننس الدوتشى الآن بعض الوقت بضخامته وصلعته ورائحته وقرحة معدته ومشاكله مع ابنته والحزب الفاشى ، ونعود إلى عبير ...

عبير التى صارت فعلاً أهم شخص فى الرايخ .. بالواقع أهم شخص فى أوروبا ذاتها ..

صحيح أن الخطة وضعها الجنرال (شتودنت) لكن الأمر يشبه مخرج الفيلم الذى لا يعرف أحد اسمه ، بينما تصرخ الفتيات عندما يرين الممثل ويقذفنه بالورود ..

كان نجاحها عظيمًا .. وقد صارت أكثر الوقت قرب الفوهرر ..

وهنا فهمت حقيقة غريبة هى أن بعض الرجال يكون لهم طابع أنثوى لا شك فيه .. هل لديك تفسير لهذا الحقد وهذه الغيرة التى يعاملها بها (هملر) و(جورنج) ؟

(هملر) كان يكره (موسولينى) لنفس السبب ؛ لأنه يغار منه على الفوهرر .. الآن جاء دورها ..

لكنها قررت أن تجرب حظها ..

هكذا دخلت إلى (هملر) الذى كان جالسًا إلى مكتبه يوقع بعض الأوراق .. هذا الرجل لا يوقع إلا أوامر الإعدام ويعتبر هذا عملاً شاقًا يستحق أجرًا ..

أدت التحية العسكرية فنظر لها فى برود وقال :

ـ « هل من جديد ؟ »

قالت فى كياسة :

ـ « أبى .. »

ـ « ماذا عنه ؟ »

ـ « لقد اختفى يا هر (هملر) .. اختفى منذ أشهر طويلة وأعتقد أن هناك كاذبًا قد وشى به .. »

تفقد (هملر) بعض أوراقه ثم عقد كفيه تحت ذقنه ، وقال لها :

ـ « نحن نعرف كل شىء .. الفوهرر يعرف كل شىء .. أبوك شيوعى مناهض للنازى وقد اشتبك فى صراع مع رجال الصاعقة .. »

ـ « أبى شيوعى ؟.. أبى لم يقرأ كتابًا فى حياته باستثناء (كفاحى) للفوهرر .. هل سمعت عن شيوعى مسن وعضو ناشط فى الحزب النازى ؟ وكيف يشتبك فى صراع مع الصاعقة وهو فى هذه السن ؟ »

نظارته المستديرة تلمع فى الضوء فتشعر بأنه يضع مرآتين ، لا نظارة .. هذا يعطيه طابعًا غير آدمى كأنه آلة تقتل بلا رحمة ..

قال لها :

ـ « تقاريرنا لا شك فيها .. العشب الضار يجب أن يجتث ويحرق .. »

ثم أردف فى استمتاع :

ـ « يروق لى أن أرى مقدار إخلاصك للفوهرر من موقف بسيط كهذا .. الفوهرر يضعك فى مكانة عظيمة ونموذج للفتاة الآرية ، لكنك تخذلينه بالتمسك بأشياء تافهة مثل الأب .. إن هذا الاختبار يخبرنا بالكثير عنك .. »

ثم مد يده فى الدرج وأخرج بعض الصور الفوتوغرافية ..

ناولها لـ (عبير) دون كلمة وقال باسمًا :

ـ « لم أرد أن أطلعك على هذه الصور قبل عملية (البلوط) .. لكنها تمت ويمكنك الآن أن تعرفى أين أبوك .. هذا هو ما يحدث للخونة فى ألمانيا الهتلرية .. »

نظرت للصور وابتلعت ريقها ..

هؤلاء القوم وحوش حقًا ..

عندما تكلم (هملر) عن اجتثاث الأعشاب الضارة وحرقها كان دقيقًا جدًّا ...

ترى ماذا فعل أبوها فى اللحظات الأخيرة ؟.. هل تذكرها ؟.. هل ظل محتفظًا بإيمانه بالفوهرر ؟.. هل هتف من أجل الرايخ ؟...

وضعت الصور من جديد أمام (هملر) وحاولت أن يبدو وجهها متماسكًا ..

هذه المرة هى تعرف ما يجب عمله .. سوف تقتله ..

لو كان معها مسدسها لفعلت ذلك هنا والآن ، لكن لا أحد يقابل هملر وهو يحتفظ بسلاحه .. إنه حذر كالذئاب ..

عيناه لا تفارقان وجهها برغم أنها لا تراهما .. يريد أن يلمح بادرة غضب أو ضعف .. هو أحمق .. حتى هتلر نفسه لن يتحمل رؤية صور كهذه بصدد أبيه .. لابد أن تنقلب على النازية كلها ، ولعل هذا هو ما أراده فعلاً ..

لكنها لم تعطه ما يريد ..

سوف تقتله .. ولسوف تستمتع بذلك ..

* * *

عندما خرجت من الغرفة وصارت وحدها فى قاعة الانتظار فى مقر الجشتابو ؛ حيث يرتسم صليب (سواستيكا) المعقوف على جدار كامل ، دست مسدسها فى عنق الحذاء الطويل الذى تلبسه .. سوف تتظاهر بأنها تريد أن تعترف لـ (هملر) بشىء .. سوف تطلب مقابلته وسوف يعتقد الحراس أنها غير مسلحة . فى هذا العصر قبل استخدام الجهاز الكاشف عن المعادن كانت الاغتيالات سهلة .. عندما تدخل عليه سوف تخرج المسدس وتفجر رأسه ...

عندما رفعت رأسها وجدت أنها تحدق فى فوهة مسدس ...!

لقد انكشف أمرى إذن ..

رفعت مجال الرؤية أكثر فوجدت أنها تحدق فى عينى ذلك البطل الوسيم الذى شرب عصير الكرنب .. (أوتو سكورتسينى) ..

كان ينظر لها فى كراهية وفكه يهتز .. ثم من بين أسنانه قال :

ـ « ماذا يمنعنى من قتلك ؟.. لقد ضبطتك تحاولين إخفاء سلاح تتسللين به لمقابلة هملر .. »

قالت محاولة أن تتماسك :

ـ « ربما يمنعك أن أحدًا لن يصدقك .. إن وضعى فى الرايخ يفوق الوصف .. سيقولون إنك قتلتنى بسبب الغيرة المهنية .. »

قال لها فى غل :

ـ « أنا انتزع منى كل شىء .. كنت سأفعل كل هذا الذى قمت به .. كنت سأنقذ الدوتشى وأنال ثناء الفوهرر .. كل هذا ضاع منى بسبب عصير كرنب !!.. »

ثم وضع المسدس جانبًا وجلس وقال :

ـ « لو كنت قد نجحت فى هذه العملية لكلفنى الفوهرر بعملية أخرى هى (روسلشبرونج) .. هدفها اختطاف قائد المقاومة اليوغوسلافية (تيتو) من مقر قيادته .. كان هذا سيمنحنى اللقب الذى استحققته وهو (أخطر رجل فى أوروبا) .. عندما تقع المؤامرة على حياة الفوهرر فى يوليو 1944 كنت سأتولى الحفاظ على حياة هتلر وأسيطر على الجيش الألمانى بالكامل ثلاثة أيام إلى أن تستقر الأمور .. »

كانت عبير تعرف طريقة فانتازيا المميزة .. هذا رجل يتحدث عن أحداث فى حياته كانت ستقع بعد عام !...

قالت له :

ـ « سجل مشرف جدًا .. »

واصل الكلام وهو يبدو منهارًا :

- « كنت سأقوم بعملية خارقة أخرى اسمها (بانتزر فاوشت) عام 1944 .. سوف يحاول ولى عهد المجر (ميكلوس هورتى) أن يتفاوض مع الحلفاء ضدنا .. لذا سوف يرسلنى هتلر إلى المجر فى عملية سرية لأخطف ابن ولى العهد ، وأرغم ولى العهد عن التنازل لتحكم البلاد حكومة نازية مقابل حياة ابنه .. »

- « أنا حرمتك من هذا المجد كله ؟ »

- « وفى العام 1945 كنت سأقود عملية (جريف) التى تتلخص فى تجنيد 24 جنديًا ألمانيًا يلبسون كالأمريكيين ويقودون سيارات جيب أمريكية ، ونخترق الخطوط الأمريكية حيث نحدث ارتباكًا وفوضى فى صفوف الأمريكان .. بل إننى كنت سأخطط لخطف الجنرال الأمريكى (أيزنهاور) ... أنا كنت فى طريقى لأن أصير مصدر رعب الحلفاء ..

« وحتى بعد سقوط ألمانيا كنت سأدرب (فيلق المذعوبين) الذى يحارب الحلفاء حرب عصابات .. وكنت سأدير (شبكة الفئران) وهى ممرات تحت الأرض يهرب منها قادة النازى إلى أمريكا اللاتينية .. كان الحلفاء سيقبضون على ويحاكموننى لكنى كنت سأتمكن من الفرار عام 1948 .. كنت سأهرب إلى اسبانيا تحت حماية الجنرال فرانكو .. »

« فى الستينات كنت سأفر إلى مصر وأعمل مع الرئيس المصرى (جمال عبد الناصر) كمستشار .. ولسوف يزعم الموساد أننى عميل مزدوج ، لكن هذا غير حقيقى فأنا لا أطيق اليهود .. »

كانت تصغى فى ذهول ..

إن حياة هذا الرجل تستحق أكثر من فيلم سينمائى إذن .. لم تلق قط شخصًا أقرب إلى (جيمس بوند) منه .. والحقيقة أنه نازى لكنه نازى شجاع شريف ولا أحد ينكر هذا ...

قالت له فى حيرة :

- « وحرمت من كل هذا بسبب جرعة من عصير الكرنب ؟ »

قال وهو موشك على البكاء :

- « نعم .. هل فهمت لماذا أرغب فى قتلك ؟ »

ثم أضاف وهو ينهض :

- « على فكرة .. محاولة قتل هملر عمل أحمق .. سوف يمزقونك قبل أن تمدى يدك للمسدس .. أقترح أن ترحلى الآن وتنسى أباك !!.. »

* * *

14ـ فلنعدم الدوتشى !

فى هذا الوقت كانت الأمور تسوء فى إيطاليا ..

اشتعلت الحرب الأهلية ودار القتال فى الطرقات بين الفاشيين والذين رأوا أن الفاشية جلبت الخراب ..

هكذا ضاقت الأمور على الدكتاتور وقرر الفرار وإن اصر حراسه النازيون على أن يكونوا معه حيثما ذهب ..

الملازم بيرزير وقف أمام سيارة الدوتشى وقال :

ـ « لن تذهب إلى مكان يا الدوتشى من دونى .. هذه أوامر الفوهرر .. »

قال موسولينى فى غيظ :

ـ « دعنى وشأنى .. »

ـ « لن تذهب لأى مكان من دونى يا الدوتشى .. »

كان يقف كالصخر وبدا أنه من المستحيل إبعاده من دون أن تدهمه السيارة ، وهرع النازيون يخرجون مسدساتهم ، عندها قرر الإيطاليون أن الأمر لا يستحق العناء وقبلوا أن يصحبوهم ..

وتحرك موكب السيارات ومن بينها سيارة موسولينى الألفاروميو ...

تبعهم بيرزير وهو يخشى أن يباغته الدوتشى ويفر منه وسط طريق الجبال الوعر هذا .. لكنه استنتج على كل حال أن موسولينى يحاول الفرار مع وزرائه وحبيبته (كلارا) إلى سويسرا ..

المشكلة هى أن رجال المقاومة الثائرون ضده ينتشرون فى هذه الجبال ..

وكانت الطامة الكبرى عندما قابلت القافلة شجرة عملاقة على الطريق ، وكان هذا كميناً من رجال المقاومة ...

انطلق الرصاص من كل صوب فرد النازيون بشراسة ، وهكذا تم الاتفاق على أن يسمح الثوار بمرور النازيين لكنهم لن يسمحوا بمرور أى إيطالى فاشى ..

هكذا وجد موسولينى نفسه وقد تنكر فى ثياب ضابط نازى . وبدأ الثوار تفتيش السيارات ..

ثمة مشهد غريب رأوه فى السيارة الأخيرة هو جندى ألمانى يجلس القرفصاء جوار صفيحتى بترول ويتظاهر بأنه نائم ... قال الألمان :

ـ « هذا زميل سكير .. »

لكن الثائر الذى وجده عرف على الفور من هو ...

قال له :

ـ « هل أنت إيطالى ؟ »

بعينين محمرتين مرهقتين ووجه شاحب وذقن نامية ، وبصوت لا يمت لعالم الأحياء بصلة ، قال موسولينى :

ـ « نعم .. »

هنا هتف الثائر من الرهبة وقد نسى نفسه :

ـ « يا صاحب الفخامة !!.. »

وعندما نزل موسولينى من السيارة ونزع الخوذة هلل القوم حماسة ..

اقتادوه إلى بيت العمدة وانهالوا عليه بالأسئلة وجاء الجميع ليرى المشهد ..

ـ « لماذا قتلت تشيانو ؟ »

ـ « لماذا خلعت الملك ؟ »

ـ « لِمَ خنت الاشتراكية ؟ »

ـ « هل الخطاب الذى ألقيته بعد نجاتك من الأسر خطابك أم أملاه عليك هتلر ؟ »

قضى ليلته الأخيرة فى منزل آل (ماريا) ، وقد سهر مع الثوار الشيوعيين ليلة كاملة حول النار يصطلى ويثرثر عن ذكريات شبابه وعن الحرب وعن إعجابه الشديد بستالين .. وأهداهم ساعته لتذكرهم به ..

لقد انتهت الحرب بالنسبة له ، وبدت فكرة الموت مريحة جدًا ..

وفى الصباح اقتيد إلى قرية (جيلينو دى متسيجرا) ؛ حيث تم إطلاق النار عليه هو وحبيبته التى أصرت على أن تموت معه ..

إنه 29 إبريل عام 1945 .. جثة موسولينى وكلارا تعلق من خطاطيف لحم فى ميدان لوريتو كى يراهما الجميع . ثم علقوا جثث الخمسة عشر وزيرًا واحدًا تلوالآخر بينما الناس يهتفون باسم الجثة إذا تعرفوها .. وراح الإيطاليون يتسلون على الجثث .. بركلها وسحقها والبصق عليها .

حتى بعد الموت لم ينعم موسولينى بالراحة ، لأن جثته سرقت مرارًا ثم أعيدت إلى بريدابيو ، حيث يرقد حتى اليوم .

* * *

كانت عبير واقفة في مقر الصاعقة تطالع هذه الأخبار في الصحف عندما سمعت من يتحرك خلفها ..

ـ « مرشد ؟.. أهذا أنت ؟ »

قال المرشد وهو يتثاءب :

ـ « نعم .. جئت لأمنعك من قتل هملر .. هذه مغامرة مخبولة كما قال (سكورتسينى) .. »

ـ « والانتقام ؟ »

ـ « لم يعد هناك ما يضاف بعد ما بدأت نهاية الرايخ .. ليست هناك نهاية أسوأ من التعليق على خطاف لحم أو الانتحار .. أما هملر فسوف يحاول التفاوض مع الحلفاء لكنه سيعتقل ولسوف ينتحر كأى رجل مخابرات يحترم نفسه بابتلاع كبسولة سيانيد .. »

قالت فى ضيق :

ـ « حياة موسولينى خليط عجيب من القسوة واللين .. أحيانًا تتمنى أن يحترق حيًا وأحيانًا تشفق عليه .. »

قال باسمًا :

ـ « بل هى خليط من جنون العظمة واليأس المطبق .. هذا هو تاريخ مرض زهرى الجهاز العصبى باختصار شديد .. على كل حال إن كنت تشفقين عليه فلتشفقى أولاً على الليبيين الذين ألقاهم جراتسيانى من الطائرات بأوامر مباشرة منه ! »

كانا يتجهان نحو باب مقر الصاعقة وسط الجنود المدججين بالسلاح وشعارات النازية ..

قال لها وهما يركبان قطار فانتازيا :

ـ « الآن موعدنا مع مغامرة أخرى .. فلنترك الدوتشى ! »

ـ « نعم .. فلنترك الدوتشى ! »

* * *

فى المغامرة القادمة تصير عبير قطعة من لعبة الشطرنج .. فى مواجهة محمومة مع شطرنج حى مرعب بحق .. ولسوف تعرف الكثير عن جامبيت الوزير وافتتاحية الروى لوبيز و ... و ...

تمت بحمد الله

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات مصرية للجيب

فلْننقذ الدُّوتْشى



د. أحمد خالد توفيق

فلننقذ الدوتشى يا سادة .. إنه مُحاصر فى الجبال ، ويوشك على أن يموت من الاكتئاب والقهر . من دون الدوتشى لن يكون هناك محور ، ومن دون الدوتشى لن نغزو العالم .. صحيح أن الإيطاليين لم يعودوا أولئك المحاربين العظام الذين صنعوا الإمبراطورية الرومانية ، لكن الدوتشى يختلف ، وغدًا يقف الفوهرر والدوتشى معًا ضد الكون كله .. نعم يا سادة .. فلننقذ الدوتشى !

007 / 8 / 14

العدد القادم
ب ٤ م

الثمن فى مصر 300
وما يعادلـه بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع